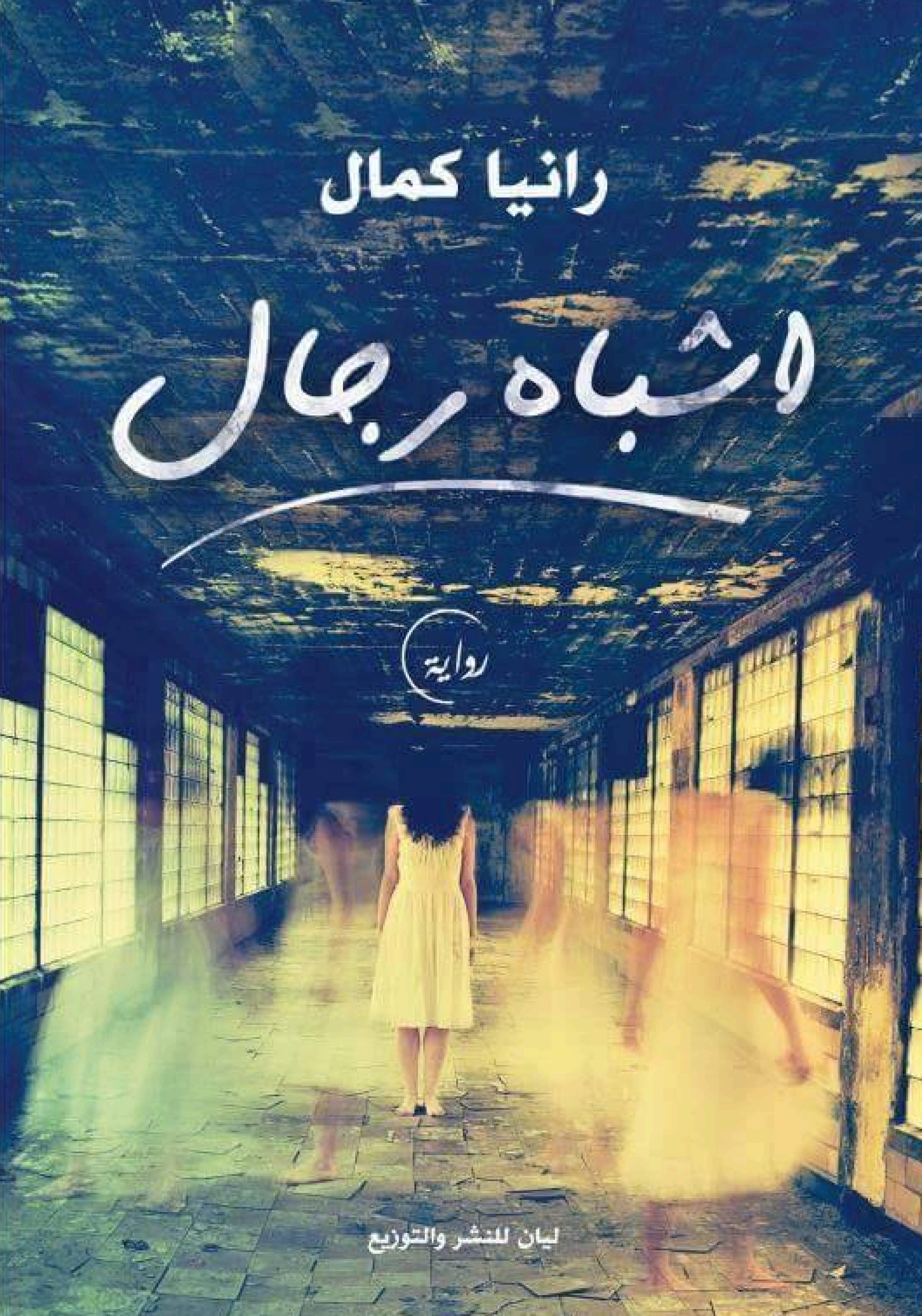

رانيا كمال
اشباه رجال
رواية
ليان للنشر والتوزيع

أشباه رجال

اسم الكتاب: أشباه رجال

الكاتب: رانيا كمال

الترقيم الدولي: 978-977-800-002-5

رقم الإيداع: 2015/22402

تصميم الغلاف: محمد عبد القوي مصيلحي

مدير النشر: فتحي المزين/ 01282288056

مدير التوزيع: منال المزين/ 01270982908

دار ليان للنشر والتوزيع

شارع التحرير بالدقي، بجوار محطة مترو البحوث، الدور 19، شقة رقم2002.

Email: layanpub@gmail.coml- layanpub@yahoo.com



أشبــاه رجــال

رواية

رانيا كمــال



قصة من الواقع لفتاة اسمها "براءة"

كانت تتسم "براءة" بطبيعة مرحة ومنعشة رقيقة في الحب، ليست أنانية أو خبيثة، تثق بالآخرين ببراءة الأطفال وهذا يجعلها محبوبة بين الناس، ويقال عنها شجاعة تساند حبيبها وتحميه بشراسة وقوة، تحب مساعدة الناس لا تخون الصديق أبدًا، ولا تخيب أمل من أعطاها سرًّا وثقة، تحب السلام، هي إذا أحبت أهملت العالم الخارجي، وجعلت حبيبها محور اهتمامها ومنحته كل الحب والعطف والحنان لأنها محادثة بارعة مع القلب.. قادرة على التكيُّف لجميع الأوساط والطبقات دون التخلي عن رقتها وذكائها اللذين منحتها إياهما الطبيعة، جميلة جمال من نوع خاص جدًّا يطرأ عليها التغيُّر والتبديل وثراها متميز في ملابسها وتناسق ألوانها الذي يدل على رقتها وذوقها العالي.. تتسم بالخجل والتهذيب، تكره في الرجل التحكم الزائد وحب التملك والكذب والخداع، الحب عندها عهد ووعد واستقرار تحب حبيبها وتغير عليه جدًا.. تسعى إلى تأمين نجاحها الشخصي وتعمل على تحسين حياتها، لكنها عنيدة متشبثة عندما يحاول البعض مناقشتها ومخالفة آرائها، يقال عليها امرأة من زمن الماضي الجميل، تتمتع بروح المنافسة وتهوى المخاطرة .

(تركنا الصداقة واخترنا الألم)

اليوم تكريم "الشاعرة براءة جمال" لنجاح كتابها الأول "أشباه رجال". دخلت قاعة الاحتفال، أصوات الجماهير تملأ القاعة عند دخول براءة يتهامسون، لقد وصلت الشاعرة براءة ناظرة إليهم تبادل همساتهم بابتسامة هادئة فخورة بنجاحها.. ولكن هناك شيئًا ينقصها كي تكتمل فرحتها.. الحفل ينقصه آدم حبيبها، تمنت وجوده اليوم لكي يفخر بها ويرافقها إلى الحفل، جلست على مقعدها منتظرة استلام جائزتها وإلقاء كلمة لجمهورها في وقت انتظارها كانت شاردة بخيالها حين بدأت في كتابة حروف الشعر.

بدأ اهتمامي بالأدب منذ أن كنت في الرابعة عشر من عمري؛ حيث برعت في الشعر وتقرأت وتعرفت على العديد من الشعراء، كان يدور بخاطري العديد من الأفكار لكن ضعف مستواي في اللغة العربية الفصحى كان عائقًا أمامي فدائمًا ما أحتاج لمساعدات لمراجعة كلماتي .

مرت السنون والتحقت بالجامعة وكان أول يوم بمثابة يوم ميلادي؛ حيث انتقلت من البيت الذي كان يمثل(جل) مجتمعي إلى دنيا لا أعرف عنها شيئًا، فها أنا في مجتمع جديد لا أعرف فيه أحدًا ولا أعرف عنه شيئًا، لذا شعرت بأحاسيس غريبة لا أستطيع تفسيرها ما بين خوف وفرحة، كنت ألتزم الصمت في السكن الجامعي لكن نظراتي تعبِّر عن كثير من الكلمات فأنا أنظر بغرابة للجميع، وعلى الرغم من ذلك فأنا دائمة الابتسام، اقتربت من إحدى فتيات المدينة الجامعية اسمها أماني..

أماني: أهلًا بكِ أيتها المبتسمة المتأملة، أعرّفك بنفسي أنا " أماني"

رفيقتك في نفس الغرفة .

- ما اسمك ومن أين أنتِ؟

أجبتها بابتسامة غامرة..

- أنا اسمي "براءة" من الجنوب، وأكتب الشعر(الشاعرة براءة جمال)

- أماني "بابتسامة ساخرة ": ما هذا ها أنتِ تتحدثين.. اعتقدت أنكِ خرساء من كثرة صمتك!!!

لماذا أنتِ صامتة إذًا؟

أجبتها بكل خجل وعيناي في الأرض:

- لا أدرى فأنا هنا غريبة لا أعرف أحدًا ولا أحد يعرفني.

تعجبت أماني لخجلي من فتاة مثلي فقالت لي:

- لن تكوني غريبة من اليوم يا "براءة" سوف أعرّفك بالجميع هنا.. وغدًا سنذهب سويًّا للجامعة ونصبح أصدقاء .

وسنتحدث سويًا طول الليل وتسردين لي حكايتك مع الشعر أيتها الشاعرة.

أخذتني "أماني".. لتعرفني بفتيات السكن الجامعي.

- أعرّفكم يافتيات بالوجه الجديد في سكننا "الشاعرة براءة جمال"

ترددت أصوات كثيرة أهلًا أهلًا بالشاعرة

هل من الممكن أن تلقي علينا بعضًا من أشعارك؟

احمرَّ وجهي من شدة الخجل فأنا لم أقم بإلقاء الشعر أمام أحد من قبل.

فأخذت نفسًا عميقًا كأني (أستعي) به جرأتي وشجاعتي لألقي أولى تجاربي في كتابة الشعر قائلة:

الحقيقة الوحيدة في الحياة

الحقيقة الوحيدة في الحياة يوم مانصعد للإله

يوم ما يتقفل الكتاب ويبتدي فيها الحساب

ولو خدعنا ولا بيعنا كله موجود في الكتاب

واللي عاش صادق أمين هيبقى من أهل اليمين

واللي خادع واللي بايع واللي غَشّ وجاب مواجع

واللي كان في الدنيا ضايع واللي كان في الغي واقع

كله مكتوب والملايكة بتدوِّن لحد ما نوصل للتراب

لو مرة بنحاسب في روحنا ونداوي بإيدينا في جروحنا

وإن جينا حتى ولّا رُحنا وإن كنا في حضور أو غياب

كل أعمالنا نلاقيها زي ماهي خير أو شر باللي فيها

وعمرنا ما حبناه وهي الحقيقة الوحيدة في الحياة.

*بعد أن انتهيت.. أبدى كل من حولي من الفتيات إعجابهن بي .

هذا الإعجاب حفزني أن أعود للكتابة مرة أخرى بعد أن توقفت عنها فترة..

مرت السنة الأولى والثانية والثالثة في الجامعة من سكن لآخر ومن صديقة لأخرى.

تألمت لما رأيته من أحداث وقعت لصديقاتي مع أشباه الرجال.

قررت أن أكتب عنهم وأحاربهم بسلاحي وهو الكتابة، وأصبحت كتاباتي تأخذ بالثأر .

في السنة الأخيرة من الجامعة قررت أن أصدر كتابًا يحتوي على أشعاري واصفة بها أشباه الرجال

الكلمات التي كلما نظرت إلى البعض منها ضحكت ساخرة على أخطائي الفصحى، فأنا أحتاج إلى معلّم لتصحيح أخطائي اللغوية والأمر الذي تركته لأجل غير مسمى.

في منتصف الليل رنَّ هاتفي:

- ألو..

- ألو "براءة" أهلًا..

أجبت باستغراب وسخرية:

- أهلًا بشاعر الشرطة الذي قام بالاختفاء بعد اتفاقنا على إكمال طريق

الشعر سويًّا، فما الذي ذكّرك بي الآن؟؟!!

- يا سيدتي أنا قررت أن أقدم في مسابقة شاعر المليون

لذا يجب أن أتعلم بحور الشعر وقواعده بمهارة لذا أحتاج لمعلم حيث خذلني بعض من لجأت إليهم وليس هناك سواكِ من يقدر على مساعدتي.

- حسنًا، على الرغم من مضايقتك لي كثيرًا.. لكنني لم أعتد أن أخذل من يحتاجني..

سوف أذهب للجامعة باحثة عن أفضل متخصص في اللغة العربية.

- شكرًا يا سيدتي في انتظار ردك .

انتهت المحادثة وشردت بفكري في هذا الشاعر محدثة نفسي: تبًّا له لم يسأل عنّي ولم يعرفني إلا عند الحاجة..

هذا الشاعر لا يبحث إلا عن الأحلام المستحيلة، يعبث مع أحلامه كثيرًا ويتركها عند الملل.. يغيب فترة ويعود بمستحيل جديد مرة أخرى .

ذهبت إلى الجامعة أبحث عن دكتور في كلية التربية قسم اللغة العربية.

تعرفت بدكتور "حسين" في الأربعين من عمره، وافق على مساعدة صديقي الشاعر ورحب بالفكرة..

ولكن كالعادة صديقي انشغل بحلم آخر تسبب في إحراجي أمام دكتور "حسين"، هنا قررت أن التفت لحلمي المؤجَّل وهو إصدار أول كتابٍ لي

في الشعر .

أخذت هاتفي لكي أتحدث إلى الدكتور "حسين":

- ألو دكتور "حسين"

- ألو "براءة" إزيك

فرحت مازال الدكتور محتفظًا برقمي.

-أعتذر لك عن صديقي الشاعر وعدم تواصله معك بسبب ظروف عمله القهرية..

لكنني قررت إصدار كتابٍ في الشعر وأحتاج مساعدتك .

- جميل "يا براءة " أرسلي لي البعض من حروفك .

*فقمت بإرسال تلك الكلمات له:

صراع مع الرجال

صراع امتد في عمق التاريخ

له نفس اللون والطعم (والسمت) والمسعى الدنيء.

إنه صراع النظرات المسمومة.

والهمسات المكذوبة.

والوعود الزائفة.

والنوايا الممزوجة بالنفاق

تجاه كل حواء نقية زكية طاهرة

تبحث عن العفة لا الشهوة..

ألا يا أشباه الرجال

لن تنالوا يومًا من حصن العفة ورمز الألفة..

لن تنالوا يومًا من حواء.

انتبه الدكتور "حسين" لأفكاري وانتقاء ألفاظي التي تسبق عمري في الكتابة وكان في حيرة من أمري..

جاءت رسالة منه إليّ :

"هل يمكنني الاتصال بكِ الآن يا براءة..؟ "

*بعد أن رأيت رسالة الدكتور بادرت أنا بالاتصال..

- أخبرني عن رأيك في كلماتي يادكتور؟

- أعجبتني يا "براءة" لكنني أرى أنك مازلتِ طفلة لأفكار الأشباه وسبك بالألفاظ واللعنة للرجال.

قاطعته قائلة:

- لعنتي موجهة لأشباه الرجال وليس الرجال.

قلق الدكتور "حسين" بشأني لعلي أكون أنا من تعرضت لأشباه الرجال،

وكتبت عن مأساتي معهم.

قرر الاقتراب مني لعله يكون عونًا لي إن كنت أمُرّ بمحنة الآن ولا أجد من يمد لي يداه.

قال لي:

- أخبريني عن نفسك أكثر يا براءة إن أردتِ..

- حسنًا.. حسنًا.. يادكتور يسعدني ذلك .

أخبرته عن نفسي كثيرًا، وسردت له ما عانته صديقاتي من أشباه الرجال فها هي صديقتي " إيزيس" التي عانت كثيرًا:

غرفة مظلمة لا يدخل إليها إلا ضوء خافت من شاشة الكمبيوتر المحمول، أحدق في الشاشة أبحث خلسة عن أخباره، أكره ما مررت به وأكره جسدي المغطى بعلامات الجروح التي لم يقدر الزمن على محوها، جلستُ وحيدة بغرفتي أنظر وأنا أعلم كل كذبة وكل حقيقة وأكره وزني بتلك الأسرار التي أحملها وأتذكر نحو أكثر من عامين من الخداع والخيانة وكل ما تحملة كلمة نجاسة من معنى ليمر أمام عيني كل يوم بل كل لحظة وهبته إياها وكل دمعة ذرفتها قهرًا لأعود للوراء، وأتذكر ذلك اليوم القديم حين كنت أجلس بمفردي على طاولة بأحد المطاعم شاردة أرتب أدوار من بحياتي ليفرض نفسه ويشاركني شرودي، شاب طويل القامة وكتفان عريضان عليهما 3 دبابير تلمع وملامح خشنة ليقول: "أنا النقيب مدحت ولمحتك قاعدة لوحدك ومحبتش حد يغلس عليكي

ورجولتي تحتم عليا إني مسمحش أشوف حد بيغلس على بنت وهي لوحدها فأنا هقعد معاكي كأني مش موجود خالص".

نظرت في دهشة وقد أعجبني ما قاله ولم أدرِ أن هذا هو طُعم الصيدة الجديدة، وبدأ يتسلل لحياتي شيئًا فشيئًا حتى شعرت وكأنها مُلئت به ولا أقدر على الاستغناء عنه، ليعترف لي أنه كان تائهًا من قبلي وحان الوقت لكي يتزوج وسيزداد شرفًا إذا وافقت، وصنع لي وقتها من كلماته أجنحة بيضاء ودعني أطير ولم أشك لحظة بأنه طُعمٌ آخر ولكن من نوع قذر، وظل يتحدث عن رجولته وأخلاقه والأمان الذي منحني إياه والسعادة التي سأنالها إذا وثقت به، وأصبح وأمسى يرسم الأحلام والأماني وأن الوقت قد اقترب ليعيش معها أجمل أيام حياته في مملكته الصغيرة وسينجب ابنة تشبهها، وكم ستكون جميلة ومثيرة وينجذب لها الجميع وأنام وأحلم بتلك الأيام وظننت بأن الحياة منحتني رضاها ووهبتني سعادة لا تنتهي. ويمر شهر واثنان وثلاثة ويزيد التعلق وتزيد السعادة، يسافر لعمله وأنتظره عشرين يومًا على أمل اللقاء مرة واحدة بعطلته، عشرون يومًا أرتب لذلك اللقاء وأقتني ملابس جديدة ولون شعر جديد وكلام جديد بداخلي ليراني دائمًا مختلفة.

ويأتي ذلك اليوم ويعود تلك المرة أتصل كثيرًا به ولكن لا يجيب، أجلس في أحد المقاهى وأنتظره، وأحاول معاودة الاتصال مرارًا دون فائدة ويزيد قلقي وتوتري حتى يجيب:

أنا: حبيبي أنت فين خضتني عليك كل ده مش بترد ومستنياك.

مدحت: كنت نايم معلش ومش قادر أنزل خالص طب ماتجيلي أنا قاعد لوحدي.

أنا: أنا مستنياك من بدري وبقالي عشرين يوم لوحدي أنا.. أنا مستنياك من بدري وبقالى عشرين يوم بجهز نفسي لليوم ده عشان خاطري بقى تعالى يلا أنا قاعدة في كافيه قريب من بيتك مش هتتعب يعني وأنت جاي.

ويأتي بعد ساعة وتمر وكأنها أكثر من مدة غيابه ولم أفكر لحظة في طلبه، وفجأة أصبح التعامل به فتور وكل يوم يزداد برودة بيننا.. يجيب مرة حين أحدثه ومرارًا لا يجيب أو مشغول هاتفه أو يتحدث مع أحد.

وكان العذر المقدَّم: معلش يا حبيبتي مشغول ومش فاضي وعندي مشاكل في الشغل ومع أهلي مش عاوزيني أخد نصيبي في ورث عمي عشان أتجوزك عشان كده لما بتتصلي بيبقى تليفوني مشغول بتكلم مع أهلي مش عارف أحل أي مشاكل وأنا محدوف هنا بعيد عنهم

أنا: طيب يا حبيبي بالراحة متزعلش نفسك وبالراحة ربنا هيحلها من عنده وأنا واقفة جنبك ومعاك أطمن ومتزعلش لما اتصلت بيك كذا مرة أنا والله بكون قلقانة عليك أوي.

مدحت: حصل خير بس اتعودي بقى لما اكنسل عليكي متتصليش تاني عشان مقفلش تليفوني.

أوجعتني الكلمة كثيرًا وازدادت تلك الطريقة والمعاملة لكن ما بيدي حيلة وهو يمتلك قلبي وحياتي وأقول لنفسي يجب أن أتحمله وأقف بجانبه

ويزادد إلحاحًا عليَّ لزيارته ولا أُبدي اهتمامًا لطلبه ويزداد قسوة وإهمالًا.

يعود بالعطلة وأنتظره تلك المرة والسعادة والشوق يغمراني ويأتي ليعتذر عن معاملتة السيئة وإهماله الشديد لي وقت عمله وأسامح وكأن شيئًا لم يكن وأقول: ولا يهمك يا حبيبي أنا عارفة إنك مضغوط في شغلك والبلد فيها مشاكل كتير بس والله أنا بدعيلك وبصليلك كتير ربنا يحميك.

مدحت: ربنا يخليكي ليا والله أنا بحمد ربنا عليكي وبدعيه يهديكي دايمًا ليا وأنا والله زعلان لأني مسافر بكرة خلاص للشغل وكان نفسي أقعد معاكي أكتر.

فاجأني بأنه سيسافر غدًا ويريد أن يرحل لم أقطع حديثه وأكمل كلامه:

- طب إيه رأيك تحضّري معايا شنطتي.

أسرح قليلًا ليقطع شرودي بكلامه:

- إيه يا حبيبتي سرحتي في إيه، لالا إوعي دماغك تروح لبعيد أنا مؤدب لا تقلقي وبلاش الأفلام تاكل دماغك.

أنا: لا مسرحتش ولا حاجة، أنا زعلت عشان هتسافر وأنت واحشني أوي ومش بلحق أشوفك زي قبل كده في أجازتك..

وأرافقه للبيت وهو بيت أبسط مما كنت أتخيل بكثير.

مدحت: البيت متبهدل طبعًا عشان والدتي قاعدة عند أختي.

أنا: لا عادى مش حكاية، مش بشع يعني، أنا بس بتفرج على البيت.

ومنذ تلك اللحظة بدأت أتعرف على مدحت جديد.

وأجد بغرفته أشياء لم أفهمها أو لم أستوعبها؛ فكان يتعاطى الخمور بشراهة، وحين سألته كانت الإجابة..

أنا: إيه ده يا مدحت أنت بتشرب خمور .

مدحت: كنت يا حبيبتى قبل ما أعرفك بس من وقت ما حبيتك وأنا بقيت واحد تاني.

وقربني إليه ليضمني وتفاجأت بأنه يقبّلني بشراسة محاولًا أن يفعل أكثر من ذلك.

لقد كنت ساذجة لمرحلة تصديق كل كلمة من فمه قبل أن يلفظها ولم أحلل يومًا أفعاله.. ويسافر وأشعر بسعادة وقلق وخوف وتمر الأيام وهو يزداد سوءًا وأنا أزداد ألمًا ويستمر بالأيام لا يجيب اتصالي بحجة انشغاله وزادت اعتذاراته عن الإهمال والغياب، واعتدت أن أرى دموعي كثيرًا بسببه واعتدت أيضًا أن أسامح وأصفح ويعود من عمله، ومن شوقي أسبقه وأنتظره ويعتذر على الإهمال والانشغال وأشعر بالكذب بين الحروف التي يلفظها، وكلما مرَّ وقت أتفاجأ بشيء جديد يفعله؛ فلم يكن فقط يتعاطى المسكِرات فقط بل كان زير نساء وزانيًا ولا داعي لذكر أكثر من ذلك فهذا يكفي. ويقسم أنه لم يفعل هذا منذ أن نوى أن يتزوج ويريد أن يسامحه الله ليبارك له فيما سيأتي وبكل براءة أصدق حديثه وأُصبّر نفسي بأمل أنه تغير وسيتغير أكثر وأنا بجانبه.. يكفي أنه يريد

العفاف.. والشيطان يقف بجانبه يسقف على ألاعيبه القذرة لأتفاجأ ذات مرة برسالة على هاتفه من إحدى الفتيات اللاتي يعرفهن تشتكي من زوجها وأنها غير سعيدة معه وتعرض عليه نفسها ويعتذر لأنها كانت بدينة وهو يحب الأنثى الممشوقة وأرى ذلك وينتابني الصمت لا أعرف ما التصرف المناسب في تلك اللحظة ويتفاجأ بأني رأيت رسالتها ويحاول أن يكذب مجددًا ويخترع الأعذار وأنها صديقة قديمة وطلبت منه ذلك كثيرًا ولكنه يرفض، وكانت تتردد عليه في منزله وتعرض عليه نفسها وكأنه يوسف الطاهر.. وأصدِّق، وتمر أيام وأيام لا أجد سبيلًا للراحة ولا أستطيع أن أبتعد عنه ولا أتحمل ما به من مساوئ، أضحك على نفسي لأقنعها بأن تظل معه بأن جميعنا بنا مساوئ وعيوب وأحاول أنسى كل هذا وأسامحه بيني وبين ذاتي وأقضي وقت غيابه أبحث عن ما أفاجئه به عندما يعود ويأتي ولم أنتظر أن يأتي ليراني وأخذت قلبي وروحي وذهبت لبيته وأطرق الباب.. يفتح مدحت وأعانقه عناقًا شديدًا ويتركني ويحدث أخاه عبر الهاتف بغرفة أخرى وأذهب لغرفته لأفرغ شنطة سفرة وأجد بها هاتفًا آخر لا أعرفه وعليه رسائل إباحية من فتاة وكم كان الوقت ممتعًا الذي قضاه بين أحضانها ويجيب على رسائلها بكل شوق ووله وكم هي مثيرة، ورسائل من فتاة أخرى تشتكي إهماله لها بعدما تقدم وطلبها من أهلها وعلَّقها به ويجيب عليها بأنها أعجبته كثيرًا ولكن لم تكن الفتاة التي يحلم بها وتأكد من ذلك بعد شهر وأكثر من مقابلته لأهلها.. ورسائل ورسائل وأحاول أتمالك نفسي وتدور رأسي لم كل هذاااا.. هل سذاجة منّي أم خسة منه أم حب بائس..

ازدادت ضربات قلبي وتوتري وارتفع ضغطي وأنهار بالبكاء وأفقد الوعي.. لم أقوَ على الحديث ولم أدرِ ماذا أقول وأمامي شيطان في جسد إنسان وانفجرت بالحديث وارتفع صوتي وزاد انهياري وبكائي، وكالعادة يرد بأكاذيب لا أساس لها، وأخذت رقم تليفون الفتاة التي رأيت رسائلها الوقحة فضولًا منّي لأعرف ما نوع النساء الذي يغرية لهذه الدرجة وأعطيه لزوج صديقتي المقربة الذي يعمل بجهة أمنية وياليتني لم أبحث عنها لأتفاجأ بأنها تعمل في أحد الملاهي الليلية ومسجل اسمها في قائمة الأعمال المخلة والمشبوهة وقضايا الدعارة والمخدرات.. لهذه الدرجة قذارتك يا أنت.. فتاة ليل.. عاهرة.. من فراش لفراش.. كم هذا مقزز.. وكم أنت تثير قرفي.. وأتركه وأبتعد وبداخلي ما يكفي لأراه أبشع مخلوق ويرسل لي أن الفراق قرار صحيح لأني افتريت عليه وظلمته.. أحقًّا ظلمته.. مازال الكذب يستنشقه.. ويزفره.. حسبي الله.

ويمر شهر وأبدأ أتعايش وأفيق لأجده فجأة أمامي في أحد الطرق وطلب أن يتحدث معي بالبيت وافقت وذهبت معه.. وأتفاجأ بأنه ينهار من البكاء وكم هو معذب في غيابي ويطلب أن أغفر ولن تتكرر ويقسم ويحلف وو وو..

وأنصرف.. ويمر يوم واثنان وأتفاجأ عبر حسابه على الفيس بوك بفتاة تنشر له رسائل حب لأكتشف أنه تقدّم لخطبتها.. وقبلها بيومين كان يركع تحت قدمي يبكي.

لم أقوَ على تحمُّل كل تلك الصدمات من رجل ليس من حقه ذلك اللقب

بل يستحق أن يقال إنه كاذب، مخادع.. خائن.. قذر.. بل شبه رجل.

ومرت الأيام وهو يخدع أخرى لو بإمكاني أن أمنعه عنها كي لا تُؤذَى به لفلعت ولكن أذيّته كانت أسرع.. فكانت هي الصيدة الجديدة التي ينصب حولها شباكه، وبكل براءة تعلقت المسكينة به وصدقت أحاديثه وأنه أغرم بها من أول نظرة عندما تغيَّر مكان عمله لنفس مكان عملها.. فكانت تعمل في إحدى الإدارات الأمنية.. يحووم حولها الكثير من أشباه الرجال.. وظنَّ أنه الأكثر رجولة بل هو الأقذر..

ووقعت الصيدة بالشباك وتعلقت به مع أنها لو حقًّا تعرفه لبخلت عليه بنظرتها البريئة؛ فكان يخطط فقط ليستدرجها لأي علاقة مشبوهة من علاقاته المعتادة ولم يصل معها لشيء.. بل اكتفى منها عندما وجدها تسحبه لطريق الزواج.. وكالعادة اختفى من حياتها بحجة عدم الاستعداد.. وربك يا فتاة فحب الله وحده الذي نجاكِ من هذا الوغد فاحمديه كثيرًا..

لم أبحث يومًا عن أخبار عنه؛ فكان بيننا أصدقاء كثيرون يتحدث معهم كثيرًا عمّا يفعله ودون أن يقول ما يفعل؛ فالكل يعرف مدى قذارته فليس غريبًا هذا عليه..

نعم أعيش أيام حياتي ولكني لم أنسَه يومًا.. نعم أحببت بصدق.. نعم أسامح بسذاجة.. نعم أنسى ببراءة.. وأتفاجأ أن أراه صدفة من جديد وأتعامل بطريقة طبيعية جدًّا كأن لا شيء بداخلي كُسِرَ بكل الذي أعرفه عنه.. وتفاجأ هو من طريقتي.. كان يظن أنني سأنهار أمام نظرات عينيه

الوقحتين.. وانصرفت.

وبعد أيام ازداد اهتمامه وكأننا أصدقاء حتى انهار ذات مرة بالبكاء قائلًا:

مدحت: أنا تعبان جدًّا ومتضايق ومش مرتاح خالص.

أنا: أكيد ضغط شغل زيادة عليك ربنا معاك إن شاءالله.

مدحت: لا مش ضغط شغل . أنا تعبان عشان انتي بعيد عني، أرجوكي متهربيش من الموضوع، أنا غلطت كتير في حقك وظلمتك بس عمري ما أقدر استغنى عنك ولو مهما بعدت وغلطت عارف إني هرجع ألاقيكي فاتحة لي ذراعك وتضميني وتسامحينى.. ولو غلطت تاني برضو هتسامحيني.. أنا اتعودت أغلط واظلمك وانتي عودتيني تسامحي وتنسي.. سامحيني.

أنا: ملهوش لزمة الكلام ده يا مدحت فات عليه كتير وأنت خلاص عشت حياتك. سبني أنا كمان أعيشها واتبسط.

مدحت: أنا عمرى ما عشتها وانتي بعيد.. أنا حاولت إني أقضيها.. بس مهما حاولت عمري ما هنسى مين في قلبي.

أنا: أرجوك كفاية.. كفاية كدب ونصيحة كفاية لعب ببنات الناس، انت عندك اخوات بنات. أه هما متجوزين بس ربنا مش بينسى وأي شيء إلا الظلم.

مدحت: انتي قصدك على فلانة ولا فلانة وفلانة ولا قصدك على اللي

شغالة معايا. والله ما حتى حسيت حاجة ناحيتها. إلا إني شوفتها وغضب عنب عجبتنى والغريزة اللي جوايا اتحركت وحاولت أوصلها بس مقدرتش أستمر في ده عشان بحبك.

أنا: هو دلوقتي بقى عادي أي واحدة تشوفها ويعجبك جسمها تجري وراها كأن كلب اترمى له عضمة.. انت ازاي كده.. ازاي أصلًا بتحكيلي ده.. ازاي.. وكمان رسايل البنت اللي بعتهالك على تليفونك شكلها حبتك وانت جرحتها . دي من حبها باعتة لك لما انت هربت إنها جتلك لحد باب بيتك تشوف مالك... ازاي جالك قلب. ازاااي أنا مش مستوعبة. كأن شيطان قدامي.

مدحت: عشان معرفش أخبي عليكي حتى وساختي.. أنا عارف أنا قذر.. أنا كده وبحبك وأنا كده وبحكيلك كل حاجة بعملها.. ومش دي وبس اللي عملت كده لما سبنا بعض. أنا حاولت أنسى النظافة اللي كانت معاكي وبقيت اروح أعمل علاقات مع ناس قذرة

أنا: أرجوك كفاية بقى كفاااااية.. أنا ليه حبيتك. لييه أنت رغم اني اتحبيت من ناس أحسن وأنضف منك مليون مرة.. كفاية بقى ابعددددد وسيبني.. صعب يبقى في ماضيك في يوم حد كان مخلص وشاريك.

مدحت: طيب إهدي أبوس إيدك . وحياتي اهدي.. أنا محبتش بحياتي غيرك والله وانا هتغير وعد مني المرة دي.. كل حاجة انتي عايزاها هعملها. بس خليكي جنبي. والله أنا عرفت قيمتك خلاص. طب تعالي نتجوز عشان تصدقي إني اتغيرت..

تمتلئ عيناه بالدموع ويضع رأسه على يدي.. أحاول أن أتمالك نفسي ويتوقف عقلي عن التفكير تمامًا.

أنا: لو سمحت يا مدحت سبني دلوقتى أمشي لأن ضغطي عالي جدًّا وهتعب كده.

مدحت: حاضر هسيبك تمشي بس وحياتي سامحيني. وأنا هبعد عنك شوية عشان مضغطش عليكي..

يمر يوم يلي الآخر ولم يهدأ عقلها ولا قلبها ولا الحنين الذي يملؤها لتقترب منه وتتنفسه.. تضمه لصدرها كما اعتادت.. تذهب لباب بيته فقط لتحتضنه وترحل، تشتاق أن تغفو فوق صدره.. ولكن كيف تعود كما كانت ومازال قلبها مكسورًا من صدمتها فيه، بداخلها صراع بين الحنين والألم؛ فالحنين قاتل والألم مميت.. والرجوع ذل.. والاستمرار عذاب لا نهاية له مع شخص يعيش حياة مدحت من شرب وسكر وسهر وزنا.

وبين صراع القلب والعقل وضغط مدحت، ضعفت وعادت له تحاول أن تنسى ما مضى. تحاول أن تصدق أكاذيبه وأنه تغيَّر وأصبح شخصًا نقيًّا. طاهرًا، بريئًا.. تلك الأوهام التي يتوهمها الثعبان لتثق به الضحية عندما يلتف بجسمة حولها.. يمتص دماءها وينشر السم بجسدها.

يحاول يظهر بالملاك أمامها، ولكن ما بداخلها من ألم لم تنسَه بعد. ويسافر من جديد لعمله وتنتظر المسكينة عودته. لا تعلم ما يفعل

بغيابه.. وتعود المياه لمجاريها.. ويعود مدحت لسالف عهده. لتذهب يومًا لزيارته بالمنزل وهو مريض.. وتجد بشنطة سفره التي عاد بها.. الهاتف الآخر به رسائل إباحية حديثة من فيتات الليل.. نظر إليَّ عَلِمَ من نظراتي المتبادلة له أني قرأت الرسائل..

مدحت: وحياتك عندي.. أنا اتغيرت يا إزيس والله خلاص.. وعمري ما هرجع للوساخة دي تاني.. أنا ماصدقت إنك رجعتيلي. خلاص بقى بلاش أفكار مش كويسة تظلميني بيها.

لم تستطع وقتها أن تتنفس وكأنه أتى بخنجر من نار ليكوي به جرحها القديم الذي يملؤها.

يقبل يديها ويبكي كي لا تظلمه في اعتقادها وتتركه.. وهي تحاول أن تتمالك أعصابها وتهدئ من ضغطها..

تمر العطلة ويعود للعمل ويسافر ويأخد كل شيء معه.. الشوارع والبيوت والسعادة والراحة.. لا يترك سوى الإهمال الذي اعتادت عليه منه.. يوم معها واثنان لا تعرف عنه شيئًا.. الشيء الوحيد الذي تملكه منه هو نبض بداخلها يعشقه بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ. لم يترك لها سوى عين لا ترى غيره وقلب لا ينبض لسواه.. تنام لتنتظره يأتي بأحلامها يمنحها كل ما يحرمها منه بالحقيقة.. تحزن تارة وتبكي تارة وتصبر قلبها تارة أخرى.. وسط كل هذا يظهر رجل ليطلبها للزواج.. لم تفكر ثانية واحدة بشيء سوى مدحت.. هل تخبره أم لا.. تخاف أن يحزن.. فترفض دون تفكير.. وتفتح بوجهها استفسارات والدها ووالدتها..

وكان الاثنان لهما عقلية شرقية قديمة. رغم كبر مراكزهم..

والدها: في إيه يا إزيس مالك.. دبلتي وبقيت أشوفك واحدة تانية.. ده خامس عريس ترفضيه في سنتين.. عاوز أفهم بترفضي ليه؟؟؟

إزيس: بابا لو سمحت متضغطش عليا.. أنا مش حساه جوزي.. وإيه يعني خامس عريس لو مش بحس ولا واحد فيهم .

والدها: عموما يا إزيس أنا موافق عليه واعملي حسابك هيجلنا كمان يومين وهتقابليه.

إزيس: يعنى أقابله بالعافية وأتجوزه بالعافية وأنا مش عاوزاه. أنا آسفة يا بابا مش هقابله.

والدها: انتي عاوزة تصغريني قدام الناس مش كده عشان شوية دلع بنات وأنا قُلت هتقابليه.

وبين المجادلة مع والدها.. تتفاجأ بصفعة على وجهها من والدها مقررًا موعد مجيء العريس.

لم يكن أمامها إلا أن تخبر مدحت وتشكي ألمها.. تتصل به مرة تلو الأخرى لا يجيب كعادته.. أرسلت له مرارًا حتى أجاب.

مدحت: مالك يا إزيس خضتيني وأنا كنت في شغل مش عارف أرد..

إزيس: هو أنت إمتى يا مدحت هتبطل لا مبالاة وتسترجل شوية.. في عز ما أنا محتاجة لك أنت ولا أعرف عنك حاجة.. الاسم حبيبي، لكن الحقيقة

أنت عمرك ما كنت جنبي..

مدحت: أعمل إيه يعني يا إزيس ما انتي عارفة ظروف شغلي.

إزيس.:عموما أنا جايلي عريس.. وهي تبكي

مدحت: وإيه الجديد، مش أول مرة يجيلك.. عشان انتي يا حبيبتي تجنني أي حد يشوفك. ارفضي كالعادة..

إزيس: بابا ضربني ومصمم أقابله وقال للعريس إنه موافق. وأنا تعبت بجد . بقالي سنتين صابرة على ظروفك ودايمًا تقولي هانت مع إنك رُحت قبل كده واتقدمت لواحدة عشان تخطبها رغم ظروفك دي عشان كنت عاوز تقضيها معاها.

مدحت: مالهوش لازمة نقلب في القديم.

وأنا عاوز أجيلك أشرفك قدام أهلك وتبقى الدنيا اتظبطتت معايا.

إزيس: انت بقالك سنتين يا مدحت، أنا مبقتش عارفة أقول لأهلي أي مبرر لرفضي.

مدحت:رلا بقى قولى إن العريس عاجبك المرة دي وبتقوليلي كل ده مقدمة إنك تسبيني. مش كده يا إزيس. قولي الحقيقة.

إزيس: إيه اللي انت بتقوله ده يا مدحت، واضح كده إنك مش في وعيك وابتديت تخرف وتقول كلام مش ولا بد وهعتبر مسمعتوش.

مدحت: حقك عليا يا حبيبتي ما انتي فاجئتيني وأنا زي ما انتي شايفة إيه

في إيدي أعمله، قوليلي وأنا أعمله وعارفة إن عندنا لسه حالة وفاة وصعب أتقدم كمان دلوقتي.

إزيس: أنا اللي مش عارفة أعمل إيه أصلًا أنا تعبت والله وبستحمل عشانك واللي بيصبرني إني بحبك.

وتواجه عائلتها بالرفض ويزداد الأمر تعقيدًا مع والدها وتزداد الضغوط عليها ولم يحاول لو مرة أن يشاركها أفراحها ليشاركها أوجاعها.. يكفي أنه الوحيد سبب كل الأوجاع بحياتها.. تخرج من مشكلة عريس.. لتدخل بمفاجأة مرض والدها بالذبحة الصدرية.. وهي بوادٍ ومدحت يحتفل مع أصدقائه يومًا.. وبسهره يومًا.. ويومًا سكرانًا ويومًا شاردًا فقط يعلقها ويدعي الانشغال بالعمل.. ويومًا تراه تكتم كل ما بداخلها من ألم وضغوط وخذلان لها ومدحت قسوة قلبه أحن منها الحجر.. لا يذكرها فقط إلا عندما يحزن.. ليبكي ويشكي ويتحجج بألف حجة لتظل بجانبه ويقف أنه ملكها.. والحقيقة أنه ملكية عامة.. وهي تعلم جيدًا، ولكن ماذا تفعل بقلبها المعلق بشبه رجل.

ورغم كل ذلك لم تنسَه يومًا وسط الضغوط وما تحمله بداخلها من ألم هو سببه وإزيس ترتب لتحتفل بيوم ميلاده، ترتب لهذا اليوم من قبل شهرين من الموعد لتفاجئه بهذا اليوم وهو يتسكع من بيت فتاة لأخرى.. تعلم وتراه وتبكي بحرقة من كسرة قلبها.. ولا تعاتبه بكلمة كي لا تقلل منه وتشعره بمدى رخصه وقذارته .

وتحجز مكانًا لتحتفل معه بيوم ميلاده وتذهب قبل هذا اليوم بأيامٍ لتهتم

بتجهيز المكان بنفسها.. يوم والثاني والثالث وأخيرًا حددت معه موعدًا لتراه ولم تخبره عن أي شيء، وفعلت كل ما بوسعها لتفاجئه بهذا اليوم.. وتذهب من العاشرة صباحًا لتتابع باقي التجهيزات وتنتظر مجيء مدحت.. تتصل به مرة واثنتين وعشرة لا يجب.. ليجيب بعد ثلاث ساعات.

إزيس: مش بترد ليه يا مدحت أنت قلقتني عليك ومعادنا كان من 3 ساعات وأنا كل ده قاعدة مستنياك في المكان اللي اتفقنا عليه.

مدحت: عادي يعني كان التليفون صامت.

إزيس: يعني إيه عادي. ومالك بتتكلم كده أنا مش فاهمة حاجة وأنا قاعدة مستنياك ممكن متتأخرش عليا لو سمحت.

مدحت: مش هقدر أجي يا إزيس مشغول ومش فاضي.

إزيس: احنا متفقين بقالنا أكتر من اسبوع ولحد امبارح بالليل وأنت مأكد عليا المعاد ودلوقتي بتقولي مشغول.. طب ازاي. وانشغلت في إيه وانت أصلًا أجازة..

مدحت: جالي شغل مفاجئ أعمل إيه يعني يا إزيس ومش هعرف أجيلك.

إزيس: أنا بقالي كتير مستنياك وبتصل بيك من بدري وطلبتلك الأكل اللي أنت بتحبه يا حبيبي.. يلا تعالي بقى عشان أنا عاملة لك مفاجأة تجنن.

مدحت: أعمل إيه يعني يا إزيس.. ارمي الأكل في الزبالة وروحي.

إزيس: هتتأخر في شغلك أد إيه وأنا هستناك.

مدحت: مش قبل ساعتين يا إيزيس.

إزيس: متبوظليش المفاجأة اللي أنا عملهالك وحياتي يا مدحت. أنا هستناك يا سيدي لحد ما تيجي.

مدحت: أوك وأنا قدامي ساعتين هخلص وأجي.

شعرت من كلمات مدحت بشيء غريب، ومن أسلوبه بندالة وخذلان لم يكن جديد بطباعه، ولكن هذا كان طبعه ورغم ذلك عشقته حد الإدمان ورغم هذا انتظرت العاشقة الغارقة في بحر الخداع وتعاود الاتصال به فتتفاجأ بهاتف مغلق.. لم تستطع التحدث.. دموعها كانت تصدر أحاديث لم تقال ولن تقال وشهقات أنفاسها كانت تقول كلمات لا يفهمها أدباء لتجمع كل ما فعلت بحقيبة وتلقي بها في صندوق القمامة تنفيذًا لكلام عاشق محتال لم ينل من الرجولة سوى صوت أجهش وتعود إزيس لمنزلها والدموع ترسم لها طريقًا لا ترى منه شيئًا إلا ألم ووجع وكسرة قلب من قليل أصل سرق فرحتها وأحلامها وبراءة تناستها وأصبحت عجوزًا من يوم عشقته وتحولت من طفلة لأم وحبيبة وصديقة وعشيقة ومنحته كل شيء.. أخذ كل شيء وترك فقط ألمًا.

ويمر يوم والثاني وأسبوع واثنان لتتفاجأ باتصال مدحت وتجيب ويداها ترتجفان ونبضاتها تتسابق.

مدحت: إزيك يا إزيس عاملة إيه وأخبار حياتك؟

إزيس: أنا كويسه الحمدلله.. وليه بتسأل يا مدحت كفاية بقى أرجوك

لحد كده، أنا اكتفيت بجد منك وكلي وجع منك.. من كتر وجعي منك وحرقتي على قلبي وكسرته نفسي أخد نفسي في حضني وأطبطب عليها وأقولها حقك عليا أنا اللي أذيتك يوم ما حبيته وسبته يدخل حياتي.. أنا اللي سمحتلك يا نفسي تستنيه لما يغيب ويسافر.. أنا اللي سمحت لروحي تحلم بيك وتتعلق بيك.. أنا اللي عملت كل شيء وأي شيء عشان أخليك تعرف قيمة اللي حبتك.. بس للأسف لازم كل واحد يعترف بالحقيقة.. إن أنت عمرك ما هتتغير يا مدحت.. عمرك.. عمرك.. وأنا عمري ما هنسى حد دمرني زيك.. ولا هنسى إني حبيت وخليت حبك يلف حول رقبتي لحد ما خنقني وبيحاول يطلع روحي.. ومع كل اللي أنت كنت بتعمله فيَّا كنت أغلّط نفسي وأقول أكيد أنا اللي قصّرت معاه وأديلك أكتر وأكتر.. كفاية لما بفتكر إهانتك ليا وخيانتك وخداعك وقسوتك.. لو كان مكان قلبي حجر كان اتكلم وقالك أرجوك كفاية.. ده كفاية لما افتكر حنيتي ليك لحد ما اتفاجئت مرة واحدة إنك أخدت كل شيء.. كل شيء يا مدحت.. مسبتليش أي حاجة.. ولا أي قرار أخده.. ولا شيء أقدر أبدأ بيه من جديد.. أنت أناني وظالم وعمري ما هقدر أستحمل إني أفتكر إن الوحيد اللي حبيته كان أنت يا مدحت.. أنت عندك حق لما بتدوَّر على عروسة صالوناتي عشان متعرفش ماضيك وحياتك وحاضرك.. عشان مفيش واحدة عاقلة ممكن تعرف عنك كل ده وتأمن على نفسها ومستقبلها معاك وتختارك أب لولادها إلا لو كانت مجنونة زيي وحبها عماها أرجوك كفاية..

مدحت: انتي اللي بتقوليلي إني أذيتك كل ده.. مع إنك لو فكرتي كويس هتعرفي كويس إني مأذتكيش.. ولو واحد غيري وقابل واحدة تعمل عشانه كل اللي انتي عملتيه ده كان زمانك حامل منه.. وانا مكسرتكيش زي ما انتي بتقولي بدليل إنك لسه بنت زي ما انتي..

إزيس: تصدق عندك حق. أنت صح، لو واحد غيرك كان عمل أكتر عشان كل اللي أنت تعرفهم ميعرفوش يعني إيه رجولة ومش ممكن أبدًا شيطان يبقى طاهر أو يتصدق.. وبجد أنا بشكرك على كلامك ده لأنه بيأكدلي إن كل الناس اللي يعرفوك ونصحوني أبعد عنك كان عندهم حق.. وبشكرك عشان بتكرّهني فيك.. عشان أنساك.

مدحت: تكرهيني؟؟ حتى لو كرهتيني أنا محبتش بحياتي حد زي ما حبيتك .

إزيس: كفاية بقى كذب.. أنت مش بتزهق من الكذب ده.. وأنا واثقة إن كل اللي انت عملته ده معايا الفترة الأخيرة عشان في واحدة بتجري وراها وذلاك.. وجاي ترميلي كلمتين بحنية عشان لما تحب ترجع.. بس أنا بقولهالك يا مدحت المرة دي انسى.. روح لف ودور واعرف دي واضحك على دي واخدع دي ونام مع دي واسكر عند دي وفى الآخر إوعاك تفكر لحظة إن ربنا ممكن ينسالك كل ده لالالا إوعاااك.. ربنا يمهل ولا يهمل.. هو سايبك تعمل اللي انت عايزه وليك يوم لكن ربنا مش غافل عن أفعال الظلمة واللي بيؤذوا بنات الناس اللي زيك وأنا غلطانة فعلًا إني وقفت معاك من الأول وكان لازم كل واحدة تحاول تستغلها وتضحك

عليها أجري أقولها خلي بالك.

مدحت: أنا مش هعلق على كلامك لأني عارف إن كل ده أنا عملته.. بس أنا مش هنسى إن كان بينا عيش وملح وإني حبيتك.

إزيس: ههههههههه تصدق ضحكتني.. المفروض أصدَّق طبعًا الكلمتين بس للأسف أنا شرباك وحافظة ألاعيبك ولّا أنت ناسي.. ولو على العيش والملح اللي أنت عضيت الإيد اللي كانت بتأكّلك عشان تبوس جزمة اللي رمتك فأنت معملتش حساب لده، وطالما أنت مش أدّ العيش والملح ماكنتش أكلت.. ولو عليا فأنا مش زعلانة بالعكس أنا بقول كل الكلام ده وأنا أول مرة أقوله باقتناع. وأنا حاولت أعمل منك إنسان كويس بس للأسف الطبع غلاب.

مدحت: حاولتي تغيَّري واحد عنده 30 سنة ومتعود على كل اللي بيعمله.. ده مستحيل يا إزيس كان يحصل ولا حاولتي تربيني.. فانتي مش أمي..

إزيس: أنت فعلًا عندك حق في كل كلمة. وأنا فعلًا مش أمك.. والحمد لله إن والدتك اتوفت قبل ما تشوف ابنها اللي ربته وكبَّرته وتعبت فيه ويطلع بعد كل ده مش راجل.. لو كانت عايشة وشافتك دلوقتى قسما بالله كانت ماتت بحسرتها عليك بدل المرة ألف. بس ربنا بيحبها رحمها قبل ماتشوف ابنها اللي كانت فاكرة انها خلفت راجل وهو عمل بيتها بعد وفاتها ملهى ليلي لفتيات الليل.. أنا معنديش وقت أضيعه معاك يا مدحت أكتر من كده بس آخر كلمة هقولهالك منك لله.

تنهي المكالمة وتتدفق الدموع من عينيها وكأن مات فلذة كبدها وانهارت أحلامها.

تقف بنهاية طريق تنظر خلفها لتجمع أشلاء حب عاجز وتجمع حطامه، تنظر لنفسها في اشمئزاز.. تكره عقلها الذي طاوعها على كل هذا وتكره قلبها الذي عشق حد الموت، وتكره جسدها الذي خبأ لصًا بين أحضانه وحماه من كل خوف تكره كل مكان جمعها به.

ولم يمر يوم والثاني وتسمع بخبر خطبته وتتأكد من صدق إحساسها ومن مدى فهمها له وكل ما فعل ليتهرب ليرتمي تحت قدم فتاة لا تعرف شيئًا عنه ليستغلها ويتشبع بجسدها.

لم تكن المفاجأة مصدمة، ولكنها كانت تعلم أنه فعل هذا لذلك وتبكي غصبًا عنها من حرقة قلبها وألمها.

بعد كل ذلك الحب والانتظار بعد طول غيابه وكثرة عذابي

بعد قسوته على قلبي التي لو وقعت على جبل لسقط منهارًا

بعد التوسل والترجي بعد كل تلك الدموع

أخبروني أنك تعيش من غيري سعيدًا أنك تقدر على فراقي

أخبروني أنك ما عدت تريدني ما عدت تهواني

أخبروني أني أصبحت ماضيًا وأنك تحيا لغيري ومع غيري

أخبروني أنك تحب.. وبعض الأنباء خناجر في قلبي

أحقًّا ستأتي من تأخذك منّي، أحقا ستكتب عنها مثلما كنت تكتب عني أحقًّا ستبوح لها بسري معك وإنك... وإني...؟ أحقًّا ستفتح لها ذراعيك وتغني لها كما كنت لي تغني؟ أحقًّا ستطويني كالدفاتر القديمة وكأني ماكنت لك يومًا غاية التمني!! فهل ستحبك بخرافة مثلي؟؟ هل ستسجد لله شكرًا لأنك من بين رجال الأرض كنت حبيبها؟ هل ستنبت لها أجنحة حين تسمع صوتك وتتحول إلى عصفورة صغيرة تفر من زحامهم وتطير بصوتك بعيدًا عن عالمهم وكأن صوتك فرحة عمرها التي لن تتكرر؟؟ هل ستقف بالشرفة تنظر لشاطئ البحر في الصباح الباكر وتنظر إلى البعيد وفي داخلها عاشقة مجنونة تتساءل بصوت الحلم ماذا لو رست سفينة نوح الآن وكنت أنت فوق ظهر السفينة ومددت لها يدك كي تكون نصفك الآخر فوق السفينة؟

هل ستتمنى أن تكون بائعة الكبريت فتمر على ديارك تمنحك الدفء شتاءً

أو تكون بائعة الثلج فتغرس قطع الثلج في طريقك صيفًا؟؟

أو تحلم بالصعود إلى الشمس كي تخفيها بضفائرها وتهمس في أذنيها "ترفقي به فإنه أبي الذي لم ينجبني وطفلي الذي لم أنجبه؟؟"

هل سينقبض قلبها حين يصيبك مكروه؟؟؟

فتشعر بألمك قبل أن يصيبك؟؟؟

أو بحزنك قبل أن يتسرب إليك؟؟؟

أو بالآه قبل أن تستقر بك؟؟؟

وتتعرف عليك ولو كانت عمياء وكنت بين ألف رجل ؟؟؟

هل ستغمض عينيها وتسافر إلى وطنك خيالًا؟؟؟ وتمشّط بقدميها طرقات (حبك) القديم وتقرأ فوق الجدران خربشات مراهقتك؟؟ وتدخل بيتك القديم بفرحِ أنثى تهم بدخول جنة الخلد فتصافح والدك.. وتقبل والدتك وتدخل غرفتك القديمة تتصفح أركانها بلهفة واشتياق هنا جلس يومًا وهنا ذاكر دروسه وهنا لعب وهنا كبر وهنا عشق وهنا بكى.

وأمام هذه المرآة وقف بكامل أناقته، وأمام هذه النافذة وقف بكامل جاذبيته؟

هل ستتمنى أن ترتدي طاقية الإخفاء لتجلس إلى جانبك وأنت تقود سيارتك وترافقك إلى عملك صباحًا؟؟؟ فتقرأ كتبك المهجورة وتعبث بأوراقك المهملة وتشاركك قراءة جريدتك الصباحية وتحتسي من فنجانك بقايا قهوتك؟؟؟

هل ستبوحِ باسمك لامرأة صالحة على فراش الموت وتهمس لها بخجل: إن التقيت الله في السماء راضيًا عنك فاطلبي منه هذا الرجل.. لي!!

هل ستهمس باسمك وهي تطوف بالبيت بدعاء لا تعرفه أنت وتجلس تقرأ القرآن بخشوع فإذا ما انتهت منه سجدت لله وهي تردد اللهم إني قد وهبته ثواب كل حرف من حروفه فاجعلها في صحيفته! هل ستفعل هي كل هذا؟؟؟

يشهد الله أني قد فعلت.. يشهد الله أني قد فعلت.. يشهد الله أني قد فعلت

هذه قصة إيزيس صديقتي التي عانت من أجل تلك الأشباه.. همست لها وهي ترسم ضحكة زائفة:

"لا تحزني يا صديقتي على شِبه رجل.. أعدك بأن كتاباتي سوف تأخذ بالثأ،ر سأنتقم لكِ بحجم الألم الذي بداخلك..ابتسامتك الزائفة تفضحها عيناكِ، أعلم أنِي لست بخير، لا تقلقي لن أستسلم حتى يهدأ نبض قلبك وتعود سعادتك. "

****

في فترة قصيرة اكتفيت بالدكتور حسين عن الجميع؛ فهو الوحيد الذي يفهمني، يستمع إليّ ولا يظن بي شيئًا؛ فأنا كما أنا طفلة بريئة.. عفوية في كل شيء لكن جاء عليَّ غبار الأيام عكسَ للآخرين صورتي الحقيقة بصورة أخرى لإنسانة لا تبالي من شيء.. تفعل ما يحلو لها فقط من يقترب مني يرى الطفلة التي بداخلي، المتجسدة في صورة أنثى ناضجة ويعتذر على ظنه بي..

قرر دكتور "حسين" أن يبقى بجانبي في حياتي الشخصية والعملية رغم أننا لم نلتقِ من قبل غير مرة واحدة.

أنا دائمًا متغيرة، أعرف متى أكون أنثى ومتى أكون طفلة، لا يُملّ منّي أبدًا دائمًا متجددة.. لي أسلوب بارع في الكلام يجذب كل من اقترب مني أن

يقترب أكثر .

ومن جهة أخرى فقد كنت أعتبر دكتور حسين مختلفًا جدًا عن الآخرين ممن حولي؛ فهو الوحيد الذي فهمني واكتشف الجوهر الذي بداخلي وتعامل معي على أساسه ولم ينظر إليَّ نظرة شهوانية كباقي الرجال ممن صادفتهم في حياتي، والذين بسببهم أصبح لدي عدم ثقة في الرجال وأصبحوا مصدر اشمئزاز بالنسبة لي، كنت دائمًا ما أبحث عن تلك العلاقات العفيفة البريئة البعيدة كل البعد عن الشهوانية، تلك العلاقات التي تحيطها محبة واحترام وود ليس أكثر.

في يوم جاءت رسالة من دكتور "حسين"..

("براءة" لقد وصفتك في بعض الكلمات)

هذه رؤيتي الخاصة فيكي:

"براءة جمال" أنتِ امرأة

لديها القدرة على التنبؤ الفجائي وقراءة المستقبل.

تعشقين الحرية وتحافظين على صداقاتك.

أنتِ امرأة تحاول خلق جو مريح من حولك وتتصرفين بشكل طبيعي ولا يهمك المال بقدر ما يهمك المركز الاجتماعي.

•أنتِ امرأة تحب الماضي وتعشق الحاضر، بحاجة إلى التغيير فالروتين هو عدوك الأول.

أنتِ امرأة تحب إدخال تغيير على مظهرها الخارجي أو تجربة طعام جديد أو شراء شيء جديد.

أنتِ امرأة متحررة، منطلقة، متحمسة، محِبّة للظهور بمظهر سيدة المجتمع التي يكون لصوتها رنين ولحديثها صدى.

منطلقة متحررة تكره القيود بقوانين المجتمع وتعمل وفق قناعاتها وإجمالًا تملك قدرة التكيف مع كل الناس وتهوى تحليل الشخصيات.

أنتِ امرأة لا تندفع للزواج لأنه ليس همها الأول، بل قد تكفيها علاقة هادئة ولو استمرت سنوات. أنتِ فتاة عصرية رقيقة في الحب ولكنها تبدو غامضة متكتمة .

أنتِ امرأة أقدس الأشياء في نظرها حريتها وصداقاتها المتعددة ومشاريعها الكثيرة .

المال في نظرها شيء ثانوي إذا قورن بغيره من أسس السعادة .

أنتِ امرأة في استطاعتها التكيّف لجميع الأوساط والطبقات دون التخلي عن رقتها وذكائها اللذين منحتها إياهما الطبيعة .

تتمنى في بعض الأحيان لو تستطيع الإكتفاء بالعلاقات العذرية دون زاوج.

ترفض الشك فيمن تحب ما لم تلمس خيانته بنفسها وفي هذه الحالة تشعر بالأسى العميق، ولا تتردد في الإنفصال عنه مع الإبقاء على

صداقته .

الطلاق أمر سهل عليكِ نظرًا إلى تعدد معارفك وإلى طبعك الانفرادي الذي يُتيح لكِ الاستغناء عن الرجل استغناءً تامًا في بعض الأحيان.

امرأة لديكِ قدرة على الخلط بين الثياب والمناسبات الاجتماعية، ولا تتردد في الظهور بأحدث زِيّ وتسريحة تارة، وبزي قديم يعود إلى زمن جدتها تارة أخرى.

أنتِ امرأة مترددة حائرة تسعى إلى الجمع بين الحب والصداقة ولا تختار شريك عمرها إلا بعد تدقيق وتمحيص طويلين .

أنتِ امرأة لديكِ الفضول والتحدي.

أنتِ امرأة ترفض العادات والتقاليد.."

بعد أن قرأت وصف الدكتور "حسين" سارعت بالاتصال به:

- ألو دكتور "حسين" أنت فعلًا وصفتني من جوايا، أول مرة أقابل شخص يفهمني شكرًا لحضرتك شكرًا جدًّا.

وهنا رفعت الألقاب بيني وبين دكتور "حسين" أصبحت أنادي له بـ "حسين" وينادي لي بصغيرتي.

ولد بيننا حب.. ليس حب العاشقين، ولكن "حب السعادة والراحة في الحديث.. الثقة المتبادلة بيننا انشغل عن الجميع، أصبحت أنا السعادة.. أخبرني أني مسئولة منه، جعلني أشعر بأني طفلته الثانية..

طفلته المدللة

ولكن..

"جاءت السعادة سريعًا.. وذهبت سريعًا"

جاء اتصال من دكتور حسين في التاسعة مساء

- إزيك يا حسين النهارده اتأخرت ليه في الاتصال..؟

حسين في حالة صمت وسكوووون تام مما جعلني أشعر بالقلق.

- حسين ساكت ليه؟.. حسين أنت سامعني..؟ رُدّ عليا!

- نعم يا "براءة"

- لماذا تناديني "براءة"..! فقد اعتدت منك تناديني بصغيرتي.. ماذا حدث؟

- أنتِ السعادة يا "براءة" وأنا لم أخلق للسعادة بل خلقت للعمل.. فقط من أجل العمل..

انشغلت بكِ عن الجميع وأفسدت حياة الآخرين حين أهملتهم لأهتم بكِ..

حان موعد الفراق.. لا تحزني يا صغيرتي أخبرتك من قبل:

"سوف تسخر بنا الحياة.. وها هي تسخر بنا اليوم"

أنتِ من أصرَّ على ترك الصداقة واختيار الألم

"نعم تركنا الصداقة.. واخترنا الألم"

فلا تدمعي فأنين دموعك يهز كياني

مازلتِ صغيرة على الحزن.. اسعدي بحياتك أيتها الطفلة المجنونة..

اعتني بنفسك وانتبهي ممن هم حولك فهم أشباه رجال لا أكثر، كوني على حذر منهم..

اهتمي بعملك، غدًا ستكونين الشاعرة المشهورة "براءة جمال" أعلم أنكِ تعشقين الشهرة أيتها الطفلة المغرورة.

آخر حروفي لكِ لا تبالي من شيء، فقط اهتمي بنفسك.

صدمت بهذا الفراق لم أتوقعه يومًا

فنحن لسنا بعاشقين.. ولكن لا أستطيع أن أفسِّر نوع هذه العلاقة..

فقدت دكتور "حسين" وكأني فقدت أقرب ما لي من العائلة..

رأيت أن الحب أيًا كان لا يأتي إلا بالألم .

انقطعت أخبار دكتور "حسين".. كنت بدونه في حالة طفلة يتيمة فقدت أباها.. تنتظر رسائله.

لا أقوى على فعل شيء سوى كتابة "تأخرت الرسائل" على الجدران الإلكترونية.

جاءت الرسالة المنتظرة:

"حتى وإن تأخرت الرسائل.. حتى وإن ضاعت الكلمات.. أنا لا أنسى

لحظات السعادة التي أفنيتِ عمرك لتهبينها لي.. أرجوكِ صغيرتي لا تدمعي من أجلي.. أنا بخير.. وأنتِ بخير.. كل ما هنالك أن القدر أراد.. لكن في يومٍ ما سيستجيب.. لا تنتظري مني شيئًا آخر.. فقط اعتني بنفسك وعملك.

ذهب دكتور "حسين" للأبد..وذهبت معه سعادتي.

أصبحت حياتي باهتة بلا أحلام بلا أهداف مهملة في نفسي.. فقدت رونقي، وقبل أن أعود من الإجازة إلى الجامعة متمنية من الله أن يرزقني بـ"حسين" آخر؛ فالاهتمام سعادة تمنيتها..

سيستجيب القدر يومًا ما.. سيستجيب.. بأن أجد شخصًا يشبه الدكتور "حسين" في كل شيء.

****

(لم ينَلني)

صادفني القدر باثنين منهما الدكتور "محمد". شخصٌ متعجرف لا يرى سوى نفسه مع الغرباء ولكن مع أصدقائه المقربين له متواضعًا يحبهم كثيرًا.

أما أنا بالنسبة له غريبة، يعتقد أنها تدبر لشيء ما. أراد أن يعرف ما بداخلي، كان يتلائم عليَّ دائمًا بحيلة وأخرى.. أنا أفهم كل حيلة.. حاولت مرارًا وتكرارًا أن أقنعه بأني لا أريد شيئًا سوى الصداقة حتى يهدأ الشك بداخله، ولكن كان الجدال والشك قائمين باستمرار حتى انتهت المعرفة بيننا بعدم الاهتمام والسؤال.

***والشخص الثاني هو (مستر آدم)**

من بداية ظهور مستر "آدم" في حياتي بدأت رحلة أوجاعي مع "أشباه رجال" اعتقدت أنهم رجال..

لفت انتباهي شخص اسمه آدم صلاح، متابع جيد لكلماتي لم يلفت انتباهي أحدٌ من قبل.. دخلت أتفقد صفحته الإلكترونية فوجدته صديقًا لدكتور حسين فلم أتردد في التحدث معه.

بدأ الحديث بيني وبين "آدم".. من خلال الرسائل الإلكترونية:

- مساء الخير، أنا "براءة" من الجنوب، شاعرة، لفت نظري في صفحتك جملة عجبتني وهي:

"إني اكتفيت" وهذا من النادر في زمننا أن نجد شخصًا يكتفي.. أنا أيضًا مثلك أكتفي.

- أهلًا بكِ "براءة".. حقا من النادر أن نجد في زمننا من يكتفي..

بما أنكِ شاعرة أريد أن أخبرك أني أحب الشعر كثيرًا.. وأكتبه أيضًا.. ولكن لست بارعًا فيه.

- "آدم" هل يمكنك مساعدتي..

- نعم

- أنا أُحضِّر لأول كتاب شعر بعنوان "أشباه رجال" أحتاج معلمًا في "اللغة العربية" لمساعدتي في مراجعة الكتاب.

- لدي اثنان أصدقائي د."حسين" ود. "عبدالعزيز".

- لالالالالالا يا "آدم" لا أريد دكتور "حسين".

- ههههههه كل هذا اعتراضٌ على د."حسين" سأتحدث إلى د. "عبدالعزيز".

- في انتظارك يا "آدم" .

- للأسف يا "براءة" د. "عبدالعزيز" مسافر خارج مصر..

اسم الكتاب مشوق كثيرًا.. أتوقع لكِ نجاحه .

عدت إلى الجامعة ولم أتحدث كثيرًا مع "آدم".. نسيت أمره.. قررت أن أنتبه للدراسة فقط .

في ليلة كنت أتصفح الموقع الإلكتروني لكي أطلع على آراء وأفكار الآخرين..

لاحظت أن "آدم" مازال يتابعني باستمرار.. علمت حينها أنه مقيم في نفس المدينة التي أنا بها الآن "القاهرة الصغرى"

شردت بخيالي لِمَ لا نكون أصدقاء..؟

أصبحت أنا أيضًا أتابعه باستمرار.

وفي ليلة كنت ساهرة وحيدة أعبث بكتابة الحروف على المواقع الإلكترونية، وفي منتصف الليل وجدته هو أيضًا ساهرًا يعبث ببعض الحروف.. قررت مراسلته:

- عرفت من خلال موقعك الإلكتروني أنك في القاهرة وفي نفس التوقيت أنا أيضًا كنت هناك .

- لماذا لم تخبريني كي نلتقي..؟

- سنلتقي قريبًا.. آدم أنت منشغل الآن؟

- لا لست مشغولًا.

- هل يسمح الوقت للحديث..؟

- نعم .

- اكتب رقم هاتفك.

اتصلت بـ"آدم" بهدف أن أطلب منه الصداقة..

فاجأني هو بطلبه لصداقتي قبل أن أطلبها..

فرحت بصداقته بعد أن تأكدت منه بأنه ليس لديه صديقة الآن غيري..

أخبرته بأني "في الصداقة كالحب لا أطاق" أغار على صديقي لن أقبل بأن يشاركني أحد فيه .

أكتفي بشخصٍ واحدٍ وأريد أيضًا من يكتفي بي.

كثرت الأحاديث بيننا وكلٌّ منا عرَّف نفسه للآخر.

بعد مرور أيام من أحاديث طويلة بيننا بدون لقاء .

كنت على موعد ذات ليلة.. وتم إلغاء الميعاد..

مازلت في بداية الليل.. أشعر بملل.. ماذا أفعل؟

شردت بتفكيري في لقاء "آدم".. ولكن ترددت سيكون هذا أول لقاء بيننا.. كيف يتم بدون تحديد موعد سابق؟

قررت الاتصال به:

- ألو آدم، أنا كان لدي موعد وتم إلغاؤه.. فكرت في أن أقابلك لكن مازلت في مرحلة التفكير.. ما رأيك؟

- يسعدني، إن أردتِ أنا في "فيينا" كافيه معروف بالمدينة.

- أعرفه، ذهبت إليه مع أصدقائي.

- حسنًا، في انتظارك يا "براءة".

قررت أن أذهب إلى "فيينا" كانت التاسعة مساء.

كنت خجولة كثيرًا.. ولكن حاولت أن أخبئ خجلي خلف طفولتي المتمردة..

"آدم" شاب طويل جدًا.. عندما رآني سخر مني قائلًا:

- أنتِ قصيرة جدًا.

أجبته متمردة:

- بل أنت طويل جدًا.

- هههههههه أظن أنكِ متعجرفة.. تعالي سوف أعرّفك بصديقي أدهم.. هو أيضًا مثلك من الجنوب.

- جميل منذ أن التحقت بالجامعة متمنية أن ألتقي بشخص مثلي من الجنوب في هذا البلد الغريب.

دخلت مع آدم إلى "فيينا" وأنا في حالة غرابة

تبًا له كيف يعرفني بصديقه.. ماذا يربطني به؟

اعتقدت أن هذا تقليل من شأني؛ فأنا صديقة له، لماذا أصبح صديقة لأصدقائه هو أيضًا

- أعرِّفك بـ"أدهم" صديقي..

أدهم أعرِّفك بـ"براءة" شاعرة بلدياتك.

- أهلًا "براءة" تشرفت بمعرفتك.

- أهلًا أستاذ "أدهم".

تحدث أدهم معي عن أحوال البلد.. الدراسة.. وآدم بجواري

يشغله شيءٌ ما على الهاتف.. ولم ينتبه لحديثي مع أدهم..

مما جعلني أشعر بغضب أخفيته بداخلي بقدر ما استطعت..

فأنا عصبية.. عنيدة..

قبل أن يزداد غضبي الذي أخفيته بابتسامة مصطنعة

طلب مني آدم أن ألعب معه لعبة "البنج"..

فرحت، فأنا أعشق لعبة "البنج"، تلاشى غضبي واعتقدت أن بعض الظن إثم..

ذهبت لأمارس لعبتي المفضلة .

* أمام طاولة "البنج" يقف آدم وصديقه حمزة تحدث آدم لبراءة قائلًا:

- أُعرّفك بصديقي حمزة.. دعينا نبتدئ اللعب الآن، تفضّلي المضرب.

*عاد غضبي مرة أخرى قائلة:

- أعتذر، لا أجيد اللعب دعني أكون متابعة لكم حتى أتقن اللعب.

- دعينا من تلك اللعبة يمكننا أن نجلس ونحتسي القهوة .

قهوتي المفضلة هي "قهوة البندق" أدهم أيضًا قهوة البندق المفضلة لديه.

حان موعد عودتي إلى المدينة الجامعية

- أستأذن يا آدم، يجب أن أعود للسكن الجامعي.

- أدهم يمكنه أن يوصلك بسيارته.

زاد غضبي قائلة بيني وبين نفسي "يا له من رجل" لماذا يفرض أصدقاءه عليّ؟

- شكرًا آدم المدينة قريبة سوف أمشي قليلًا.

- دعيني أمشي معكِ .

طول الطريق لا أنتبه لحديث آدم معي..

كل ما كنت أفكر به أن هذه الصداقة التي لم تبدأ بعد.. لن تدوم طويلًا. .فهو مازال بالنسبة لي غريبًا..

لا أحب الرجل الذي يتيح لأنثاه كل شيء، الذي لا يخشى عليها من شيء..

ما أحبه في الرجل سواء كان حبيبًا أو صديقًا أن أكون من ضمن أولوياته..

يهتم بي.. يغير عليَّ.. لا يدع مجالًا لغيره يقترب مني .

في اليوم التالي أصبحت الأحاديث من خلال الهاتف طويلة وكثيرة..

مع مرور الأيام أصبحنا في تواصل دائم لا يقطعه سوى النوم.

بدأ آدم يفعل لي ما أريد.. يجيء لي بكل ما أحب

أعجبت به كثيرًا..

اكتفيت به عن الجميع.. وانتظرته هو أيضًا أن يكتفي بي

تبدَّل حالي من حال إلى حال أفضل

خشيت أن تأتي السعادة وتذهب مرة أخرى

كنت في حيرة من أمري بداخلي كلمات يرددها قلبي دائمًا :

"من أنت أيها الغريب حتى تقف أمامك نبضات قلبي.؟"

كانت علامات حمل في حب سيولد قريبًا.

قبلت جميع مميزات وعيوب آدم.. إلا عيب واحد وهو :

وهو كلما جمعنا لقاء جمع معنا أدهم.. كلما رن هاتفه بأحد أصدقائه يسأله

أين أنت يا آدم؟ يخبرهم أنه في لقاء معي.

لا أعلم لماذا يخبر أصدقاءه عني فأنا أريد أن أكون جوهرة مصونة لا يعلم أحد عني شيئًا غيره.

قررت أن أتأقلم على هذا العيب وأرضي نفسي به.

"يوما بعد يوم يكبر جنين الحب في أحشائي"

استمرت العلاقة بيننا هو حبيبي وأنا صديقته

بدأت علامات الحب تفضحني شيئًا فشيئًا.. آدم مستمر في تقبل كل شيء

منّي.

يقدم لي أفعال الحب بدون مواجهة واضحة للاعتراف به..

أصبحت أقدِّم له مشاعر الحب العفيفة.. وهو يبادلها بمشاعر الشهوة الملعونة.

مسكينة كنت أظن أنه يبادلني نفس المشاعر.. ولا يعترف لي بكلمة الحب المنتظرة:

لأنه رجل متمرد لا يخضع للحب.. دائمًا ينتظر أن يُحَب لا يحب سواء نفسه والمال.

قررت أن أبدأ الاعتراف بالحب.

جاء اتصال من آدم:

- براءة أدعوكِ اليوم للسينما، هل تقبلين؟

- نعم.. ولكن أخبرني عن اسم الفيلم.

- لا أعلم شيئًا عن الأفلام المتاحة نذهب واختاري أنتِ .

شردت بخيالي قليلًا لا يعرف شيئًا عن الأفلام المتاحة ويدعوني ماذا يخفي لي ذلك المتمرد.

ذهبنا إلى السينما.. بدأ الفيلم.. وبدأ ذالك المتمرد يتحول إلى طفلٍ وربما ذئب حبي له أعماني أنا أرى ما خلف القناع.

أمسك بيدي يقبّلها فأصيب قلبي برعشة الحب غمرتني فرحة قائلة لنفسي هو أيضًا يحبني ويخفي، وهذه القبلة اعترافٌ بالحب.. أمسكت بيده وقبّلتها مجيبة على قُبلته بأنا أيضًا أحببتك.

أراد أن ينول أكثر من تقبيل يدي فابتعدت عنه شاردة ماذا عن ذلك الرجل هل أحبني حقًّا أم يشتهيني فقط!؟

انتهى الفيلم وخرجنا سويًّا نمشي ونتحدث:

- أخبرني يا آدم ألم تخشَ غضبي منك حين أردت أن تقبّلني؟

- أعلم أنكِ ستغضبين وأنا سأعتذر وأنتِ ستقبلين اعتذاري.

- لا تثق بكل هذا القدر.. فأنا حين أغضب أتخلى عن نفسي إن كانت هي سبب غضبي

- لن تستطيعي التخلي عني.

- يا لك من متمرد

- أعلم أني متمرد.

تأكد ذلك المتمرد من حبي له.. استطاع أن يستفز كل مشاعري لأعترف له بالحب.

من خلال مكالمة عبر الهاتف قطعت حديثي معه لأخبره قائلة:

- آدم.. لقد أحببتك "مازال الحب في أحشائي فقط أخبره عن الحمل.. فهو لم يُولَد بعد.

في لحظة اعترافي له بالحب.. سكت يحدِّث نفسه في صمت.

ما الجديد في ذلك كنت أنتظرها منكِ أيتها البلهاء، فأنا كل من عرفني أحبني.

انتهى من حديثه لنفسه.

ليرد عليّ قائلًا:

- حقا أحببتِني؟

يقولها وهو لا يبالي.. وأرد وبداخل قلبي رعشة تكاد أن تجعلني صماء قائلة:

- نعم.. أحببتك كثيرًا.

رده جعلني أسعد به كثيرًا.. وهمني بالحب الزائف..

"يا له من شِبه رجل"

قال لي :

- إني سعيد جدًا بحبك لي.. لا تبتعدي عني.. كوني دائمًا قريبة مني.

هنا ولدت السعادة في حياتي مرة أخرى.. اكتفيت به

تلاشيت دراستي.. أصدقائي..نفسي..

تفرغت من حياتي تمامًا للاهتمام به لا أرى في حياتي سوى طريق واحد وهو أن أهب له السعادة واكتفيت بذلك.

لكن آدم لم يكتفِ مني.. فأنا بالنسة له بلهاء يتسلى بها مثلها مثل غيرها "يريد أن ينالها يومًا ما"

لا ربما أكون حبيبته، أفعاله تتحدث عن الحب وهو ليس شبه رجل لكي يشتهيني "إن بعض الظن إثم"

حتى جاء صديقه أدهم يخبرني ذلك الذي تقدمين له الحب.. هو يقدم لكِ الوهم كما قدمه لغيرك.

قبل أن تدخلي حياة آدم.. كانت هناك مسكينة وعدها بالزواج لكي تسلم له أمرها.. وبعد أن نالها.. تركها تنوح بآلامها.. لا حول لها ولا قوة..

وحيدة.. ضعيفة.. منكسرة.. تبحث عن شبه رجل خذلها

" قتلها عروسًا "

كانت في انتظار حبيبها للزواج بها.. أخبرت أهلها.. صديقاتها.. جيرانها

نزلت تبحث عن فستان الزفاف المناسب لها.. لكي تكون في نظره أجمل عروس.

تزينت اليوم وانتظرت هي وأهلها وجيرانها وصديقاتها والفرحة تغمرها وأصوات الموسيقى تملأ المكان؛ فاليوم موعد خطبتهما كما وعدها.

مرت ساعات على موعد الخطبة المحدد ولم يأتِ آدم.

بدأت تخجل من الجميع حولها.. جاء نصف الليل ولم يأتِ آدم .

" أطفأ نور القمر" مع أنوار الزينة

باتت المسكينة منكسرة تحاول أن تصل إليه.. وهو يتهرب منها مثل الجبناء

تطرق أبواب أصدقائه بابًا تلو الآخر؛ فهم مثله "أشباه رجال".. لم تصل لشيء، جميعهم قفلوا في وجهها باب الحياة.

فلم تسع الدنيا أوجاعها "صعدت إلى السماء" ليرحمها الرحيم بما فعله بها ذاك اللئيم.

هذا أيضًا مايريد أن يفعله معكِ لقد "افترسها قبل الأوان" فهو شبه رجل

متمرد على أصحاب القلوب البريئة التي لا تعرف سوى العفة والنوايا الحسنة.

صدمت لما سمعته عن آدم؛ فأنا أراه رجلًا خلوقًا.. إنها الحادية عشرة مساءً لا أستطيع الانتظار، تحدثت إلى آدم:

- أريد أن أراك الآن

- ماذا بكِ يا براءة الوقت متأخر جدًّا؟

- لا يهمني الوقت أريد أن أراك الآن.

- حسنًا، أنا الآن في الوطنية .

ذهبت إليه متماسكة، أخفي دموعي كي لا يراني ضعيفة في حبي له.

- أخبرني يا آدم عن تلك الفتاة التي خذلتها.

- لم أخذل أحدًا.

- لا تكذب فوجهك الوسيم أراه اليوم باهتًا.

- لم أكذب أحبتني وأردت الزواج منها، ولكن ليس لنا نصيب.

- اليوم أراك شبه رجل.

- أعلم يا براءة.

انتهى لقائي مع آدم وشردت وحيدة أتعاطف مع حاله حين رأيته لا يدافع عن نفسه وكأنه بريء ويخبرني بهدوئه واستسلامه كيف تصدقين ما يقال عني.. حبي له جعلني أتغاضى عن كل شيء وأنسى.

*مر وقت بيني وبين ادم.

أنا أريد منه الإهتمام وهو يريد مني إشباع رغباته

استمر آدم في دلاله لي وأوهمني بالحب الزائف.. لكي ينالني.. ولكن لم أستجب له يومًا ما..

حتى جاء اليوم الذي نفد فيه صبره عليّ.. إنه يراني بعقل وقلب طفلة مدللة في جسد أنثى.

كيف لا ينالني إلى الآن.. كان عليه أن ينال تلك الطفلة خلال أيام حين تعرف عليَّ..

فلا أستحق كل هذا الوقت..

لا يعلم آدم أن هذه الأنثى محصَّنة مصونة من الله بدعوات والديها

فقد جئت في زمان غير زماني. .زمن لم يعترف ببراءتي..

ليس لي مكان في هذا المجتمع الذي تملؤه الذئاب البشرية.. "إني ابنة السماء"

"تعمد آدم إزعاجي" فهو على يقين أني أحببته حد اللامنتهى.. ولن أستطيع أن أبتعد عنه يومًا.

بدأ يتشاجر معي كثيرًا على أشياء لا تستحق المناقشة حتى نصل بها إلى أن نتشاجر.

يفعل كل ما يزعجني.. أنا سريعة الغضب وأيضًا سريعة التسامح.

أتألم قدر ما أتألم منه وأعود له بالتسامح.. هنا أثبت له أني لا أستطيع الاستغناء عنه يومًا واحدًا .

طلب منّي أنه يريد تقبيلي!

وهنا بدأت مع وجعي رحلة اللامنتهى..

ما هذا العقل الملعون يفترس أنثى تلو الأخرى مثل الذئب ولم يبالِ لتلك التي فقدت حياتها بسببه.

ويستمر في أفعاله الدنيئة كأن لم يكن شيء..

اليوم دوري يفعل معي حيلة تلو الأخرى حتى أستجيب له يومًا ما.

شعرت أن مابداخلي هو عكس ما بداخل آدم لي..

لم يعد يتعامل معي مثل ما كان.. لم يهتم.. لم يبالِ لي..

كأنه يقول.. لم أعد أحبك.. إن كنتِ تحبينني فاقتربي أنتِ.. وافعلي لي ما أريد.

اقترب مني في يوم.. صدمت من تصرفاته وأسلوبه.. مبتعدة عنه هاربة خوفًا منه..

أنظر إليه بدموعٍ حائرة، أحدّث نفسي وهو أمامي.. من أنت؟ هل أنت من أحببته؟

أم ذئب يشتهيني لإشباع رغباته الدنيئة تحت مسمى الحب الزائف

شعرت بأني كنت أنثى مفعمة بالمشاعر.. لذئب شرس يراوضها طوال الوقت حتى ينالها.

نظر آدم إليَّ وكأن قلبه رق بالعطف عليَّ.. وهنا معجزة الله ليقبل دعوات والديها بأن يحفظها ويصونها من تلك الأشباه، رقَّ لي قلب ذلك الذي لم يبالِ من شيء يومًا ما قائلًا لي:

- لا تخافي مني يا براءة سامحيني.. أعدك بأن لا أتسبب في إزعاجك مرة ثانية.

- لماذا تسببت في إزعاجي من البداية؟

- لكي تغضبي.. وأعتذر لكِ.. وأعلم أنكِ سوف تسامحينني.

- يالك من متمرد تعلم بحبي وتتمرد على قلبي.

نعم فأنا أعشق أن أكون متمردًا.

- تكرر ذلك الموقف يا آدم يوم السينما وسأكرر لك نفس كلماتي.. لا تأخذني في دائرة التحدي.. فإن أردت البعد عنك سأفعل .

- ههههههه وأنا أيضًا سأكرر نفس كلماتي لن تستطيعي يا براءة ومع ذلك أنا أقبل هذا التحدي.. ستعودين مرة أخرى .

- لن أعود يا آدم .

- إذًا دعيني أقول لكِ نحن من الآن على موعد مجهول للتصالح وأنتِ من سيحدد الزمان والمكان.. في انتظار رسالتك التي تخبرينني فيها بالزمان والمكان ولا تقلقي سأقبل دعوتك حينها لن أرد خاطرك أيتها البريئة .

ذهبت من أمام آدم بخطوات سريعة منهمرة في الدموع على خديّ.. وشفتاي ترتجفان بداخلي قلب يحترق.

أتمتم بصوت خافق، ارقص يا قلبي على أنين أوجاعك فأنت من اختار.

لقد أحببت أحمق.. أحببت أحمق.. أحببت أحمق.

تركت المدينة وعدت إلى بيتي منكسرة الخاطر.. حزينة على حظي السيء.

لا أتحمل ألم التفكير في آدم ولا أستطيع نسيانه

قررت أن أتغاضى عن آلامي، لا أهتم بكتابة الشعر..

فآدم كان يحفزني دائمًا على الكتابة حتى أصبح شاعرة معروفة

ربما صفة الكتابة هي التي جعلت آدم يقترب مني ويصر على أن ينالني

فأنا الوحيدة التي عرفها من بين نسائه لديها صفة.. حين أصبح مشهورة سيتمناني الجميع

وهنا يصبح هو الوحيد الذي نالني.. هو من أحببته.. يريد أن أظل بين أصابعه.

أحببته وعشت بين أصابعه "ولكني مثل الحياة لم ينَلني مرة"

*أصبح ليلًا باهتًا بلا رونق أكتب كلمات بلا معنى.. لا أقوى على فعل شيء مفيد..

في منتصف الليل زارني الحنين..

"أخبرني قلبي لا تقسي على من أحببته بالغياب فقد اشتقت"

"ما لك يا قلبي تشتاق لمن اشتهاك"

"وقد يكون أحب وخبأ الحب ليوم ما"

"إذا فليقترب هو يا قلبي"

"ربما يمنعه تمرُّده وأنا لا أقوى على الغياب"

شردت بالتفكير مع عقلي.. ربما يكون آدم أحبني حقًا..

ولا يستطيع الاعتراف بحبه لأنه بدون عمل

وينتظر حتى يحصل على العمل ويخبرني.

أسرعت للاتصال بمعارفي باحثة عن فرصة عمل لآدم..

وجدت فقط خيبة الأمل فلا توجد أي فرصة عمل مناسبة لآدم.

عشت فترة وحيدة بعيدة عن الجميع بعيدة عن نفسي.. يأنس وحدتي فكري المشغول بآدم .

في منتصف الليل على البرنامج الإلكتروني رأيته ساهرًا أرسلت إليه:

- "بدوني ليلك باهت "

- "عذرًا أيتها الحائرة.. فليلي دائمًا مليء"

- " لا تناديني بالحائرة.. لست حائرة.. بل ضائعة من نفسي"

- "أنتِ بدوني وحيدة.. وفي جوف الوحدة حيرة تقوى على تغيير القلوب.. لذلك أناديكِ بالحائرة.. أخبريني ما وصل إليه قلبك في الغياب "

- "أنت أصبحت بالنسبة إليَّ غريبًا أتمنى له الخير لا أكثر"

- "ما دمت أنا غريب فلا يحق لكِ التعامل من قريب"

- "أردت أن أبعث بحروفي مع غريب وأرحل"

- "أخبرتك من قبل أن ليلي مليء.. ينتظرني الكثير"

"أيها المتمرد.. أنا أفتقدك"

"إذًا أنا ربحت التحدي.. حان موعد رسالتك المنتظرة.. وكما وعدتك لن أرد خاطرك"

"غدًا سأعود إلى المدينة.. حتمًا ستجمعنا صدفة فلا أريد تحديد ميعاد"

"حسنًا براءة في انتظار الصدفة"

عدت إلى المدينة يوم الخميس وهو اليوم المعتاد للقاء بصديقاتي في نادي المهندسين، وأيضا اليوم المعتاد لآدم فهو كل خميس على موعد لمباراة كرة القدم مع أصدقائه في نادي المهندسين.

في النادي أنظر إلى ساعتي إنها التاسعة مساءً.. آدم الآن في فيينا يلعب البنج.. لا أقوى على الانتظار حتى يأتي إلى نادي المهندسين.

ذهبت إلى فيينا لأراه وأطمئن عليه دون علمه.. وكان حظي سيئًا لم أجده هناك.

عدت إلى النادي أنتظره.. وأنا أراقب أرض الملعب عن بعد

جاء آدم من خلفي رآني حائرة بعينيَّ أبحث عنه قائلًا لي:

- لماذا تختبئين هكذا أيتها الحائرة؟

أصبت بالذعر المفاجئ فلم أتوقع أن يأتي من خلفي قائلة له :

- أبحث عنك أيها المتمرد.

- أتمنى أن تكوني بخير.. الوقت متأخر، اذهبي إلى البيت.. وغدًا لنا موعد على الغداء.

- لدي أمنية إن أردت تحقيقها لي.. أصدقائي هنا في النادي أرغب أن أعرفك عليهم.

كان آدم متعجبًا لطلبي، فأنا دائمًا أخفيه عن الجميع. .وإن استطعت لأخفيته عن العالم.

حدَّث نفسه وهو ينظر إليّ في صمت أقرأ ما بداخله في عينيه قائلًا:

إلى ما تخططين أيتها المجنونة.. لا أثق في جنانك..

وأنا أنظر إليه في صمت وأحدِّث نفسي.. أعلم بما تفكر في لحظات صمتك هذه أيها المتمرد..

لا تقلق فقط أريد أن أخبر أصدقائي عنك.. أخبرهم بأن في حياتي رجلًا اخترته من بين الجميع.

بعد انتهاء حديثنا مع النفس ردَّ آدم قائلًا:

- لا أمانع يا براءة.

بعد أن تم تعارف آدم بأصدقائي بصفة أنه شاعرًا مثلي وجمعتنا صداقة الكتابة.. وأخبرت أصدقائي المقربين بأنه حبيبٌ لي.. في نهاية اللقاء بيننا أكد آدم على موعد العشاء غدًا في التاسعة مساءً بدلًا من الغداء.. أخبرته بأني لن أتأخر عن الموعد فأنا سعيدة به اليوم لم يخذلني أمام أصدقائي ولم يزعجني كالعادة.

ذهبت في موعد العشاء، أخذت معي بعض الذكريات لي منذ الطفولة قد

أخبرته عنها من قبل وأراد أن يطلع عليها، وبعض المذكرات والأوراق الممزقة لأخبره عن بداية كتاباتي للشعر..

عند وصولي تفاجأت بأني لست الضيف الوحيد على العشاء، أصدقاؤه أيضًا.

"علمت أنه يتعمد إزعاجي كالعادة"

حاولت أن أخفي غضبي لكن عينيّ تفضحانني وأنا أنظر لآدم..

نظر إليّ في صمت وكأنه يخبرني حقًا هذه المرة لم أقصد إزعاجك..

دائمًا أحب أن أصمت لأستمع لصمت آدم.. أسمع في صمته مايخفيه لسانه

أستمع إلى ما أريد أن أسمعه منه بالكلمات فهو حنون عليَّ مقرَّب إليّ.

قبلت بالأمر الوقع وأكملت العشاء.. طلب مني أن يلقي نظرة على ذكرياتي ومذكراتي، لكنني رفضت قائلة :

"لم ترضني بعد كي أرضيك أيها المتمرد"

أثناء العشاء جلس أدهم بجواري.. نظر آدم إلينا وشعر بالغيرة.

كانت هنا أول نبضة غيرة تنبض بقلب آدم.. يا له من رجل، إنه بارع في إخفاء مشاعره، لكن انتبهت لشيء آخر كنت ألاحظه من وقت لآخر وهو غيرة أدهم عليَّ.

كلما رأني قريبة من آدم.. كنت حائرة في تفسير تلك الغيرة التي تفضحه

دائمًا.

مرَّ زمن من الوقت بيني وبين آدم يعاملني بحنين في صمته ويقسو عليّ في كلماته.

كان يسمعني كلمات كالسيف على قلبي.. ولا أستطيع أن أفسر سبب هذه المعاملة، سألته :

- لماذا تعاملني هكذا؟

أجابني وهو متعمد إزعاجي .

- هذه طباعي.. أعاملك كما أعامل صديقاتي..

تحملت منكِ الكثير ولا طاقة لي أن أتحمل أكثر من ذلك.. إن قبلتِ كوني قريبة.. وإن كنتِ لا تتحملين لكِ أن تبتعدي لستِ مجبرة على البقاء معي.

ذلك المتمرد يعلم أني لا أستطيع البعد.. وحتمًا سأقترب أكثر وأعطيه مايريد.

أجبته قائلة:

- لست مثل الأخريات لتقارني بهم.. أريد منك أن تعاملني مثل معاملة صديقك أدهم لي..

فهو يقدرني ويشعرني من أولوياته.. يغار عليّ منك ومن الجميع.. لماذا لم تكن مثله.

رد آدم ساخرًا مني:

- لأن أدهم رجل وأنا معدم من الرجولة.. بلا نخوة .

صدمت من استخفافه بمشاعري وسخريته مني قائلة له:

- أريد البعد عنك ولكن.. "كل شيء يقودني إليك".. حتمًا سيأتي اليوم الذي تعود فيه غريبًا كما كنت.

في هذا الوقت قررت أن أقوى على مشاعري شيئًا فشيئًا.

في ذات الوقت ظهر أدهم بصورة قوية في حياتي.. قُرب أدهم مني يزعج آدم كثيرًا.

وهبني أدهم الاهتمام والاحتواء حتى وهبني كل ما أتمناه وأكثر..

لم يكن لي في هذا الوقت مجرد صديق لآدم.. بل أصبح صديقي المقرب.

أدهم يغار عليّ كثيرًا، يغار حتى إذا تحدثت مع آدم.. لم يقبل لي بأيٍّ كان أن يزعجني يومًا.

يطمئن عليَّ حين أخاصم آدم.. فهو يعلم أنه يزعجني دائمًا حتى ينالني يومًا.

في ليلة رأس السنة قدمت دعوة الاحتفال لآدم وأدهم وحمزة جاء أدهم إلى الاحتفال ومعه آدم.

وأدهم على يقين أني لا أعلم بمجيء آدم.. لم يكن على علم بأني قدمت له هو أيضًا دعوة عند دخول أدهم الاحتفال وجدني بين أصدقائي في حالة مثل السكارى انزعج من تصرفاتي مسرعًا إليَّ:

- آدم هنا هل ستتحدثين إليه؟

لم أجب على سؤال أدهم وذهبت مسرعة لآدم مقتربة منه.. اقتربت كثيرًا

ثار غضب أدهم من قربي لآدم قابضًا كف يده من الغيرة التي شقت قلبه نصفين قائلًا:

- تبًا لتلك الأنثى تنسى الجميع حين تراه.

خرج أدهم مسرعًا من الاحتفال.. وقرر أن يتركني لآدم وحماقاته كي أتألم أكثر لعلي ألتفت لحبه يومًا حين أقارن حماقات آدم باحتواء أدهم .

أثناء الاحتفال لم يتحمل آدم حالتي في اللامبالاة قائلًا لي :

اقضي وقتك مع أصدقائك فأنا لا يروقني الأمر.. سأذهب لأصدقائي .

وقفت أمام آدم محاولة منعه من الخروج والدموع تملأ عينيَّ:

أريد أن أقضي الليلة معك.. أنا هنا من أجلك.. أعتذر عن حالتي هذه سأترك الجميع وأبقى معك..لا تتركني الليلة.. فأنا أحبك.

- كلا لن أترك أصدقائي الليلة.

وتركني آدم قبل أن أرد عليه.. متعمدًا ألا يسمع مني شيئًا..

جميع أصدقائي ينظرون إليَّ وأنا أحاول مترجية أن أمنع آدم من الذهاب .

عدت إلى صديقاتي.. فسألتني إحداهن لماذا ذهب آدم؟

- لم يذهب، قررنا أن نحتفل سويًا في مكان آخر .

ذهبت كعادتي بدموعي وأوجاعي هاربة إلى النوم.. في طريقي إلى البيت أرسلت رسالة لآدم " تمنيت أن أكون الليلة معك"

ورسالة أخرى إلى أدهم:

"صديقتي تريد الاحتفال معك.. إن أردت اذهب إليها هي في انتظارك"

الليلة أوجاعي تمزقني أشلاءً أشلاءً. على غير العادة لم يأتِ إليَّ النوم.. بل كان هاربًا مني.. وكأنه لم يتحمل وجعي.

قررت أن آخذ أقراصًا منومة، لا أتحمل معاناة الأفكار المشتتة والآلام المبعثرة.

ذهبت إلى أكثر من طبيب صيدلي طالبة منه تلك الأقراص المنومة جميعهم رفضوا صرف تلك الأقراص بدون إذن طبيب متخصص، انهالت دموعي ماذا أفعل يا إلهي.

وجدت صيدلية أخرى، ذهبت إليها لعل يرق قلب الطبيب الذي بداخلها ويصرف لي تلك الأقراص.

أحدثه أنا متمتمة بسبب دموعي مرتجفة.

- أرجوك ساعدني أنا متعبة.

- اهدئي.. وأخبريني ما بكِ.

- متعبة كثيرًا لم أنم منذ ثلاثة أيام وأكثر، يلازمني صداع شديد كاد أن يشق عقلي نصفين، أحتاج إلى أقراص منومة.

- حسنًا سأصرف لكِ أقراصًا بها نسبة قليلة من المنوم.

- أرجوك لا أريد القليل.

- حسنًا ولكن انتبهي.

هناك تحذير على الأقراص المنومة بألا يسمح بأكثر من قرصين.. أخذت الأقراص كاملة.

"فقدت رغبتي في الحياة"

قبل أن أفقد وعي بلحظات جاءت رسالة من أدهم:

"كم أنتِ حمقاء.. لا أرغب في معرفتك مرة ثانية"

وأيضًا رسالة من آدم:

"أنا عائد إليكِ انتظريني في الاحتفال"

أنا أفقد وعي شيئًا فشيئًا.. فلو استطعت لعدت إلى الاحتفال من أجل حبيبي آدم.. ولو استطعت لاعتذرت لآدهم.. فقد "تأخرت رسائلهم".. فقدت وعي.. وحيدة في البيت.. حيث أن الجميع في الخارج للاحتفال.

في اليوم التالي انتبهَتْ لأمري صديقتي لاحظت أن نومي الطويل غير العادة أخبرت جميع صديقاتي بالبيت وذهبن بي إلى المستشفى..

وأيضًا أخبرت آدم وأدهم وحمزة.. ولكن ظلوا خارج الغرفة يطمئنون عليَّ بدون الاقتراب منّي؛ فهم يعلمون أنهم سبب ما يحدث لي.. لا يريدون حين أستعيد وعي أراهم فأنزعج من وجودهم .

بدأت أستعيد وعي، وجدت نفسي في مشفى حولي صديقاتي وآخرون غرباء أصدقاء صديقاتي فأنا لا أعرفهم.. ناظرة إليهم أبحث بينهم عن آدم.

ظللت بالمشفى أستعيد وعي تارة وأفقده تارة أخرى حتى عدت إلى البيت جاء أدهم يوصلني أنا وصديقاتي إلى البيت..

مازلت فاقدة شيئًا من وعي.. لا أشعر بشيءٍ من حولي.. لا أشعر بنفسي.. فاقدة رغبتي في الحياة ذهبت مسرعة إلى النافذة أريد أن ألقي بنفسي من أعلى، منعني أصدقائي.. كانوا ساذجين في المعاملة معي ظنوا أني أتمرد وأتدلل من أجل آدم.. ولست مريضة وعلى وعي بما يدور حولي..

انهالوا عليَّ ضربًا كي أتوقف عن تمردي كما ظنوا بي.. أصبحت مسكينة أنوح من ألم نفسيّ وألم جسمانيّ ظللت وقتًا في حالة لا حول لي ولا قوة .

ذهبت في المساء وحيدة إلى المشفى لأكمل علاجي..

جاءني اتصال من حمزة علم من خلاله أني بمفردي في المشفى.. جاء إليّ ليقف بجانبي، وجدني في صراع داخلي مع نفسي وما يحدث معي، أدى بي إلى حالة توتُّر وعصبية شديدة كدت من خلالها أن أدمر كل شيء حولي وقف بجانبي حمزة حتى أهدأ، تحمل معي آلامي.. أمسكت بيده خائفة مما يحدث لي.. لم يردها، أمسك بها ليخبرني "اطمئني فأنا بجانبك لن أتركك وحيدة.. مثل الآخرين"

كلما أغمضت عينيّ رأيت آدم يلهو ويضحك.. وأنا هنا أتألم وأُذبح.. تدمع

عيناي في صمت عاطفة على نفسي المنكسرة.. تواسيها بالصبر.

هدأت تمامًا بعد أن أخذت المهدئ وانتهى علاجي.. عليَّ أن أعود إلى البيت لأستريح..

اتصل حمزة بصديقاتي لكي يُكُنّ بجانبي.. تفاجأ بردِّهم، إننا نحتفل جميعًا تعال معها نحتفل سويًا.. ردَّ قائلًا لهم:

- ماذا أصابكم، إنها مازالت مريضة تحتاج إلى الراحة..

اتصل بوالد براءة:

- ابنتك مريضة تحتاج أن تستريح لا تتركها مع صديقاتها فجميعهم تخلوا عنها ليحتفلوا .

اعتني بها في المشفى أو قم بمساندتها إلى البيت حتى آتي إليها في الصباح .

ساندني حمزة إلى البيت.. رغم أنه متأخر "هناك سفرُ ينتظره" لم يتركني حتى اطمأن عليّ.

مرت أيام قليلة وتحسنت حالتي.. شعرت أني أفتقد شيئًا.. ربما آدم .!

طلبت من حمزة أن يبلغ آدم أني كنت في انتظار سؤاله عني..

لم يمتلك آدم الجرأة ليتحدث إليَّ.. قام بإرسال بعض الكلمات لي:

"كوني بخير.. تمنيت لو أن أكون بدلًا منكِ كي لا تتألمين.. اعتني بنفسك."

قمت بالاتصال به:

- لماذا لم تسأل عني؟

- أعلم أني سبب ما أنتِ به الآن..اعتقدت أن سؤالي عنكِ سيزعجك .

- هل أحببتني يا آدم؟

- لماذا أنتِ أحببتيني.. فأنا لا أستحق حبك هذا.. ولا أستحق ما تعانيه من أجلي.

- هل تحبني؟

- أخبرتك من قبل أعجبت بكِ فقط.. أما عن الحب أردت الوقت للتأكد من مشاعري.. واليوم علمت أنها ليست لكِ .

- حسنًا سأبتعد.

- لا أريد بُعدك.. بل قربك كوني قريبة فأنتِ صديقتي .

التزمت الصمت قليلًا أتحدث إلى نفسي..

أيها المتمرد عبثت معي منذ البداية لتوهمني بالحب، وحين تمكنت تمردت على مشاعري تريد من قربي الآن أن تنال مني فأنت "لم تنَلني بعد" ولن تنالني يا شِبه رجل حتى لو أصبحت عاهرة ينالها الجميع.. لن تنالها أنت.

عدت لحديثي مع آدم قائلة :

- حسنًا يا آدم.. فأنا لا أريد قربك.. اليوم سئمت منك.. وكن على علم بأني "سأظل في حياتك ذنبًا" "وستظل في حياتي شبه رجل"

- إذًا دعيني أعترف لكِ ببعض الاعترافات.

كانت تلك اعترافات شبه رجل:

- الإعتراف الأول:

¤عندما جعلتك تتعلقين بي لم أوقفك، جعلتك تقوليها "أحبك" وبعدها أمتلك قلبك وأنا لم أعجب بكِ في الأساس.

الاعتراف الثاني:

¤عندما كنت أتأخر في الرد على رسائلك فتأكدي أني كنت مشغول بغيرك.

- الاعتراف الثالث:

¤عند لقاءنا الأول أتذكرين عندما أتاني اتصال ولم أجب ثم انشغلت بكتابة الرسائل ولم أنتبه لحديثك مع أدهم إنها كانت الثانية أيضًا كنت علي موعد معها.

- تبًا لك فقد كنت ماكر وحساس بنفس الوقت.

انتهى الحديث بيننا ومرت أيام.. مازلت أشعر أني أفقد شيئًا في حياتي.. نعم أفقد ذلك المتمرد.. لن أعود إليه فقد أحببت شبه رجل سوف أكيد لك كيدًا أيها الماكر أعلم أنه ينزعج من قرب صديقه أدهم لي.

سأقترب من صديقك كي أزعجك حتى وإن خسرت أنا فيكفيني أني أزعجتك.

(لن أنكر بأني كنت حمقاء بارعة في أن أوهم نفسي أولًا ثم أوهم الجميع من حولي أني أحببت أدهم.. وهو لم يعنِ شيئًا أكثر من أنه صديق مقرب)

وحينها انتبهت لغياب أدهم.. سائلة نفسي لماذا لم يسأل عني منذ فترة.. أعلم أنه يخفي بداخله حبًا لي!

أين احتواؤه.؟ أين اهتمامه؟ أدهم صديق رائع لن أسمح للأيام بأن تُفقدني إياه.. سأذهب إليه..

قلبي يفتقد أدم ! ما أصابك يا نبضي .؟ خانتني المشاعر حين أحببت آدم؟

تحدثت إلى حمزة:

- إني أفتقد أدهم.

- ماذا!

- نعم يا حمزة لا تنصدم أنا أفتقد أدهم.

- وآدم ماذا عنه؟

- لا شيء.

- أعلم ما يدور بداخلك.. لاتفعلي أنتِ تحبين آدم .

- أمس آدم وغدًا أحب أدهم.. فهو يقدم لي كل ما أريد من حب..احتواء.. اهتمام.

- بل يقدم لكِ ماتمنيتِ أن تجديه في آدم.

- إذًا فهو يحبني كي يقدم لي ما أتمناه.. وأنا سأذهب لمن يحبني.

إذًا دعيني أرى نتائج هذا الحب.. هل اعترف لكِ أدهم بحبه؟

- لم يعترف بعد فأنا أشعر به من خلال معاملته معي.

- إن تركتِ مجالًا لأدهم.. ستخسرين الاثنين.. وأنا لا أريدك أن تخسري آدم .

- آدم لم ولن يحبني يومًا.. فقط يريد أن ينالني.

بعد الانتهاء من الحديث مع حمزة شعرت أن حمزة الأقرب إلى آدم..

فلم يبالِ في إزعاج أدهم من أجل إرضاء آدم.

قررت أن أتحدث لأدهم لكي أخبره أني أفتقده..

تفاجأت أني من الممنوعين على صفحته الإلكترونية..

اتصلت به كثيرًا أرسلت إليه أني أفتقده.. فلم يستجب لي

لم أيأس، أرسلت الكثير من الرسائل على أمل أن يومًا ما سيستجيب لي .

مرت أيام قليلة حتى تصادفنا في الوطنية.. نظرت إليه رأيت في عينيه أن بداخله صراعًا يريد الاقترب ويريد الابتعاد.. أسرعت إليه مقتربة منه قبل أن يذهب:

- انتظر يا أدهم .

- لم يبقَ شيء لأنتظر من أجله.

- بل يبقى الكثير.

- الكثير منكِ يؤلم.. لا أريده.

- لا تكابر، أرى في عينك أنك تحتاج الكثير مني.. دعنا نخرج من هنا .

- أنتِ ترتعشين.. أخشى عليكِ من ليل الشتاء.. نتحدث هنا.

ابتسمت قائلة :

- لا تقلق فأنت ترتدي الجاكت.. تتذكر حين كنت أرتعش في كل مرة تتحمل أنت برد الشتاء وتعطيني إياه.

ابتسم أدهم ناظرًا إليَّ بكل حب واحتواء :

- أتذكر أيتها المجنونة.

خرجنا سويًّا نتمشى في ليل الشتاء البارد.. نتعاتب فيما مضى..

أخبرني أنه لا يتحمل أن يراني أتألم.. وأنا دائمًا لا أذهب إلا لآلامي..

حذرني مرارًا وتكرارًا فأنا لم أستجب.. لن أتغير مازلت قريبة من كل شيء يؤلمني.

أخبرته أني أكون سعيدة معه وكثيرًا أفتقده فأنا من دونه أعاني..

نظر إليّ ويده على وجهي لكي أنظر إليه سائلًا:

- هل أحببتِني؟

تفاجأت بسؤاله هاربة بعيني بعيدًا عن عينيه كي لا تفضحني عيني بحبي لآدم ولم أجب على أدهم.

قال لي:

- حسنًا لا تجيبي على سؤالي وتأكدي من مشاعرك لمن تتجه، آدم.. أم حمزة.. أم أدهم.. عليَّ أن أذهب إلى أصدقائي.. وعليكِ أن تعودي إلى البيت فقد تأخر الوقت .

- لا أريد أن أذهب، فاليوم يدي في يدك لأول مرة وأنا سعيدة بذلك.

- أنا أيضًا سعيد بذالك .

قرب أدهم يدي من قلبه وكأنه يودعني وأنه اللقاء الأخير قائلًا لي:

- اعتني بنفسك كثيرًا .

شعرت أنه يودعني قلت له مترجية:

- لا تتركني سأكون دائمًا في انتظارك.

انتهى بيننا اللقاء وعند وصولي البيت.. جاءت إليَّ رسالة :

"لا تنتظري فلا أقوى على الاقتراب منك..اعتني بنفسك "

في اليوم التالي جاءت رسالة من حمزة :

"أخبريني عن حالك الآن حين ابتعد عنكِ الاثنان"

تبًّا لهم وكأنهم جميعهم يتفقون

أجبته "حالي حال اليتيم لا أقوى على شيء"

ظننت أن حمزة هو من طلب من أدهم أن يبتعد عني.. فهو يعلم أني أريد أن أكيد لآدم من خلال أدهم..

تشتتت أفكاري فلم أعد أفهم شيئًا مما يدور حولي.. قبلت بالأمر الوقع..

مرت أيام أستمع كثيرًا لحمزة.. وأفضفض معه بالكثير.. كنت أراه أخًا أكبر لي..

أستمع إلى نصائحه.. ومن وقت لآخر أرى آدم مثله مثل الغريب.. لا أشتهي قربه مثل ما كنت، وآدم مازال ينظر لي نظرة شهوانية.. يريد أن يشبع رغباته الدنيئة حين ينالي.. يحاول بحيلة وأخرى أن يبعدني عن أدهم. هناك شيءٌ ما بينهما أنا لا أستطيع أن أفسر ذلك الشيء.

لم أنسَ أدهم يومًا بل كنت أنتظره .

تحدثت إلى آدم:

- لا أطيق البعد عن أدهم أكثر من ذلك .

- لماذا تنتظرين شيئًا منه؟

- لم أنتظر منه شئيًا.. بل أنتظره .

- وهو لن يعود.. فلا تعاني من أجله.

انتهى الحديث مع آدم وبدأت حديثًا آخر مع حمزة :

- حمزة كيف يعود أدهم أريده بقربي فما عدت أقوى على البعاد.

- حاولي أن تتحدثي معه.

- حاولت ولم يستجب.

- إذًا اذهبي إليه.. هو الآن بجوار بيته فاجئيه بالأمر الواقع.

ذهبت إلى أدهم تفاجأ بي قائلًا:

- لماذا أتيتِ..؟ ألم تكتفي بالرسائل.

- بل اكتفيت من البعد عنك وأريدك بقربي .

- لا أستطيع.

- تأكدت من مشاعري فأنا أحببتك أنت يا أدهم .

- تأخرتِ؛ فقريبًا سأتزوج من غيرك.

- أتمنى لك السعادة.. فلا تحرمني أن أكون بقربك صديقة.

- انتظريني هنا سأعود.

انتظرت وذهب أدهم ليتحدث إلى آدم يخبره بأن براءة جاءت إليه.. ماذا يفعل معها..

أخبره آدم بأن يقوم بطردي.. فأنا لا أعني شيئًا له.. عاد أدهم لي مبتسمًا.. بعد أن كان قاسيًا عليَّ.. ليخبرني:

- أنا أيضًا أحببتك أيتها المجنونة وكنت في انتظارك .

لم أصدق ما أسمعه حقًا أحببتني.. نزلت دموعي أحتقر بها نفسي أنا أقترب منه لكي أكيد كيدًا لصديقه آدم ويعترف بالحب.. فاقترب مني أدهم ليمسح دموعي ويخبرني:

- لا أريد أن أراكِ تدمعين.. فدموعك هذه تهز كياني لا أتحمل أن أراها.. فقط ابتسمي دائمًا كما كنتِ في السابق..

أحببتك كثيرًا منذ أول لقاء لنا.. وابتعادي عنكِ خوفًا عليكِ.. أردتك أن تنتبهي لحبي.. أن تتأكدي من مشاعرك.. واليوم أعدك دائمًا سأكون بجانبك.

أوهمت نفسي أني سعيدة بحب أدهم..

سعادة وهمية ولكنها متأرجحة على أن تزول..

فلم يتركني حمزة لأهنأ بها.. حاول أن يفرقنا.. حتى رأيت أن حمزة هو حظي السيء الذي يريد مرافقتي..

أسرعت هاربة خائفة منه إلى أدهم لأشتكيه.. أخذني أدهم ذاهبًا بي إلى حمزة ليخبره أمامي بألا يزعجني ثانية فلا أريد أن أخسرك وهي لن أخسرها.. فعل هذا حتى أطمئن..

ابتعد حمزة وآدم عني وعشت لحظات السعادة الوهمية مع أدهم في المكان المفضل.. المشروب المفضل.. الساعة المفضلة وهي :

"التاسعة مساء في فيينا"

كل ليلة أرسل رسالتي المفضلة لأدهم:

"إنها التاسعة مساء حان موعد قهوة البندق في فيينا "

كان "كافيه فيينا" هو المكان المفضل لدي .

في ليلة اعتذر أدهم عن اللقاء من خلال رسالة لم يتحدث معي..

حزنت ولكن التمست له العذر..

في الليلة التالية أرسلت رسالتي المعتادة:

"أنتظرك الليلة في فيينا لاحتساء قهوة البندق"

اعتذر أيضًا عن اللقاء للمرة الثانية!

أخفيت انزعاجي بداخلي.. وقررت أن أذهب إلى ملهى ليلي كان يذهب إليه دائمًا مع أصدقائه.. ربما يكون عاد إليه.

تحدثت إلى صديقتي:

- أريد أن أذهب إلى "الملهى الليلي"

- لا تذهبي فهذا المكان سيء السمعة .

- بل سنذهب .

- لا تفقدي عقلك.. كيف تكون نظرات الآخرين إلينا .

- لا أبالي للآخرين.. لن أذهب للسهر.. فقط لأتأكد من وجود شخصين .

اقتنعت صديقتي وذهبت معها.. ولم يخِب ظني فوجدت آدم وأدهم هناك يلعبان البنج.. ظللت أنظر إليهما عن بُعد، رأيت نفسي كرة البنج يلعبان بي.. يتحديان بعضهما.. "من سينالها أولا" أهمس مع صديقتي بصوت خافت:

"يا لهم من أشباه رجال"

انتهيا من لعبة البنج وجلسا لاحتساء المشروب.. مازلت أراقبهما.. نظراتهما شهوانية من أنثى لأخرى، وجوه متلونة.. عقول ملعونة.. هناك غرباء لم أعرفهم ينظرون إليّ نفس النظرات.

رددت على نظاراتهم بنظرة أقول فيها:

"تأملوني من بعيد.. فلن تنالوني يومًا يا أشباه الرجال"

فتحت صفحتي الإلكترونية وكتبت رسائل غير مباشرة لآدم وأدهم :

"ملهى والكل يلهي في سخف.. تناسوا المشاعر.. تناسوا الحب"

نظرت لآدم وأدهم ثم كتبت على صفحتها الإلكترونية:

"سئمت نفسي التي كادت أن ترى الجميع أشباه رجال تبًا لكم ولنظراتكم الملعونة"

أغلقت صفحتي الإلكترونية وعدت للحديث مع صديقتي أخبرها بأني:

لن أنكسر مرة أخرى.. بل سأقوى لأعود أقوى مما كنت.. كتاباتي ستكون سيفًا على رقاب أشباه الرجال، سآخذ بالثأر لكل أنثى عبث معها شبه

رجل .

سأكتب عن مكر الرجال.. وحيل أشباه الرجال.. لكي تقرأ كل حواء نقية

"فالرجال يخشون أن يعبثوا مع المرأة التي تقرأ "

نظرت إليَّ صديقتي بغرابة :

- ما بكِ يا براءة أشم في كلماتك رائحة الانتقام!

- لا تستغربي يا صديقتي.. من اليوم "كتاباتي تأخذ بالثأر"

- حسنًا يا براءة الآن دعينا نذهب من هذا المكان .

عدت إلى البيت.. جاء اتصال من أدهم:

- أفقتدك يا براءة.

- إن كنت تفتقدني لاقتربت.

- أعتذر فقد انشغلت عنكِ بالعمل .

- لا تعتذر، اهتم بعملك.. حان موعد سفري.

- لقد انشغلت عنكِ ونسيت موعد سفرك.. سامحيني.. سنلتقي غدًا .

- سأنتظرك التاسعة مساء في فيينا.

"حان موعد اللقاء الأخير "

بدأت اللقاء بكلماتي:

- لقد افتقدتك كثيرًا يا حبيبي .

*نظر إليَّ أدهم متعجبًا لهدوئي:

- ما بكِ يا براءة ! أنت لست منزعجة منّي؟

- لماذا أنزعج أنت انشغلت بعملك.. ويجب عليَّ أن أقدر ذلك..

أريد أن أخبرك أني بدأت العمل في كتابي بعنوان "أشباه رجال"

حين ينجح كتابي وأصبح الشاعرة المعروفة "براءة جمال"

دعني أفكر مرة أخرى في الارتباط بك .

- تتخلين عني عند النجاح أيتها المغرورة.

ابتسمت قائلة :

- أخبرتك سأفكر مرة اخرى

- دعينا نكتفي بهذا القدر من المزح.. أريد أن أخبرك تحدثت عنكِ مع والدي ووالدتي.. قريبًا سأقوم بزيارتكم.. لخطبتك.

- وأنا في انتظارك.

سافرت وكما ظننت في أدهم سؤال واهتمام بي أول يومين.. وإهمال باقي الوقت يغيب طويلًا ثم يعود بالسؤال عني من حين لآخر.

أصبحت وحيدة مهملة كعادتي هاربة إلى النوم.. وفي ليلة جاءت رسالة من حمزة:

"أخبريني عن حالك يا براءة"

اتصلت به:

- قريبًا ستكون خطبتي على أدهم.

أخبريني عن الميعاد.

- لم نحدد بعد.. لكن قريبًا ترقبها يا حمزة.. بالمناسبة إن علم أدهم بالمحادثة سوف ينزعج مني ومنك.

- لا داعي أن تخبريه عنها .

انتهت المحادثة ولم أخبر أدهم عنها.. لكن خذلني حمزة وهو من أخبر أدهم عنها..

حينها علمت أن هذه المحادثة حيلة ليفرّق بيني وبين أدهم..

اعترفت لأدهم.. وقدمت الاعتذار مترجية مسامحته.. فلم يستجب لي..

هنا بدأت أتأكد أن هناك شيئًا ما بين الثلاثة أنا لم أستطع أن أكتشفه حتى الآن .

تركني أدخل في حالة اكتئاب وحزن شديد من فتاة في العشرينات إلى عجوز في السبعينات..

كتبت على صفحتي الإلكترونية:

"يا أهل الشماتة هناك حبيبٌ خذلني حذرني منه الجميع ولم أستجب..

إن أردتم اقتربوا فلن ألومكم يومًا بل سألومن نفسي التي فعلت بها مالم يُفعل"

"عشت بين أصابعهم.. يتصارعون من سينالها أولًا "

"بدأت الحكاية في فيينا.. وانتهت أيضًا في فيينا"

عدت هاربة للنوم.. أوجاعي تزداد فلم يعد النوم يسعها تحملت وقبلت به فلم أعرف للهروب طريقًا آخر غير النوم..

أغلقت هاتفي ثم رميت به بعيدًا.. سألتني والدتي لماذا؟

- أبدًا يا أمي لا أنتظر أحدًا.. ولن يبحث عني أحد.. اكتفيت يا أمي.. اكتفيت وجعًا.

أذبل مثل الوردة يومًا وراء يومٍ.. لم يسأل عني أحد ولم يشعر بي أحد الجميع تناساني.. الجميع خذلني.

لم يحبني أحد، الجميع يحب نفسه.. أنا أيضًا بدأت أحب نفسي.. تغلبت على آلامي..

أخذت من تجربتي المؤلمة فكرة للكتابة ظللت أكتبت وأكتب وأكتب وكأني أنتقم بالكتابة حتى انتهيت من كتابي المنتظر "أشباه رجال"

تم نشر الكتاب ونال نجاحًا كبيرًا في وقت قليل لم أكن أتوقعه.. كانت سعادتي غامرة..

والأصدقاء الثلاثة كان نجاحي بالنسبة لهم خسارة.. فهم لم ينالوني بعد..

كنت بين أيديهم مغمورة لا يعرفني أحد ولا أعرف أحدًا، اليوم أصبحت الشاعرة المشهورة.

أردت أن أرد بنجاحي اعتباري أمامهم أخبرهم:

"لم تقف حياتي بدونكم بل أصبحت لديّ حياة من دونكم"

صوت عالٍ في قاعة الاحتفال ينادي الشاعرة براءة جمال أفقت منتبهة للصوت متجهة إلى المنصة يزفني تصفيق الجماهير لتكريمي بجائزة نجاح الكتاب.

****

(وإني اكتفيت)

جاءت رسالة من أدهم:

"أنتِ إنسانة مغرورة.. أنانية تريد كل شيء.. وإن كنتِ تظنين أني أحببتك يومًا ما فاليوم أقولها لك أنا لم أحبك.. ولن أضعف من أجلك أيتها المغرورة.. لكِ في حياتي حسنة واحدة وهي أنك كنتِ سببًا في أن تكشفي لي أقنعة من كنت أظن يوماً أنهم اصدقائي.. وأريد أن أخبرك شيئًا عن آدم، أنتِ بالنسبة له مثل القطة الجميلة يتباهى بها أمام الآخرين يريد أن ينالها، يخبر الجميع تلك القطة تحبني ولن تذهب لأحدٍ غيري حتى وإن تركتها فأنا أستوطن بداخلها "

وكانت تلك الصدمة الأولى.. لم ألقِ اللوم على أدهم فقط بل على نفسي أيضًا التي أوهمته هو أيضًا بالحب .

تحدثت إلى آدم وأخبرته عن رسالة أدهم :

- أنا لم أصدق تلك الحروف.. وعليك أن تتحدثي إليه وتنالي منه كي لا يتحدث عني وعنك مرة أخرى.

- لن أتحدث إلى أحد.

- لماذا؟ لم أتوقع منك رد الفعل هذا يا آدم.

- لا تنتظري مني شيئًا. ولماذا تنتظرين منّي؟

لم أقوَ على الرد؛ فقد أخرستني حروفه.. اكتفيت بأن أفتح صفحتي الإلكترونية وأكتب حروفي الأخيرة

"وُلدَ جنين الحب ميتًا"

ذهبت إلى حمزة في الوطنية :

- كيف حالك يا حمزة

- أنا بخير وأريد أن تكوني أنت أيضًا بخير.

- أخبرني من أنا في حياة آدم وأدهم.

- آدم حبيبك وأنتِ ذهبتِ لأدهم وقدمتِ له مشاعر ليست له.

- لا تخبرني عن حالي.. أخبرني من أنا في حياتهما.

- حسنًا، منذ البداية في أول لقاء لكما في فيينا.. يُعرف آدم بين أصدقائه بعلاقاته النسائية الكثيرة ويهادي بهن أصدقاءه.

وفي هذا اليوم طلب أدهم من آدم أن يعرّفه على أنثى من بين نسائه الكثيرات وحين أتيتِ أهداكِ له.

فرض عليكِ صداقته كي تقتربي منه وفي كل لقاء بينك وبين آدم كان يأتي إليكم أدهم على اتفاق مسبق بينه وبين آدم

ومع مرور الوقت وجد آدم بكِ شيئًا مختلفًا لم يحبك يومًا، ولكن أصبح لا يريد أن يقترب منكِ أدهم أو تبتعدي عنه يومًا، أرادك أن تكوني رفيقةً له.. حينها علم أدهم بنوايا آدم وأراد أن يتحداه ويأخذكِ منه وحين ظننتِ أنه يحبك حقًّا وتنتظرينه أن يأتي لخطبتك أراد أن يبتعد..

ثم أتى إليّ وأخبرني أن أساعده في حيلة ما لكي يبتعد عنكِ..

كنتِ بينهما

- (قاطعت حمزة قبل أن يكمل حديثه) انتظر يا حمزة لا أريد أن أسمع المزيد.. آدم وأدهم أرادا أن ينالاني فقط.

أخبرني عن رد فعلهم بعد نجاحي

- رد فعل آدم.. كالعادة يخفي مابداخله ويظهر أنه لم يبالِ قائلًا :

"نجاحها أو عدم نجاحها لم يعنِ لي شيئًا"

أما أدهم فهو لا يحب القراءة .

- وأنت يا حمزة

- أكتفي بالصمت.

- أخبرهم يا حمزة أني سامحتهم جميعًا.. سامحت كل من أساء إليّ يومًا..

ولكن ظلمت نفسي التي تحملت الكثير.. فهي لم تستحق هذه المعاناة.،

حمزة احتفظ بهذه الرسالة اقرأها حين أغادر الوطنية.

ذهبت وتركت خلفي نجاحي.. أهلي.. أصدقائي.. آدم.. أدهم.. حمزة.. لأمشي وحيدة في ليلة عتمة تحت أمطار الشتاء بين أصوات الأشجار وضوء البرق المخيف، أهمس لنفسي بصوت خافق وماء المطر على وجهي يختلط بدموعي قائلة :

"أصبحت مثل العمياء

لا أرى الطريق أمامي

لا أشعر بشيء من حولي

فقدت كل معاني الشعور

ألم يأتِ من يشعر بي

ألم يأتِ من يمسح دموعي

أم أني سأنتظر

يمر الوقت وأنتظر

يحين موعد موتي وأنا أنتظر

انتظرت كثيرًا

نعم لقد انتظرت كثيرًا

اليوم لم أعد أنتظر

سواك يا قدري

اقترب أيها القدر المنتظر "

بعدها رأيت شريط حياتي أمامي.. علمت أنها الساعة الأخيرة من حياتي

شعرت بسعادة تغمرني من الداخل تمتمت بشفتيَّ وأنا مبتسمة

"جاءت السعادة تهرول بدون أسباب فعلمت أنه اقترب الميعاد"

- **(الراوي) : مسكينة يا براءة**

- آه يا براءة كفاكِ ملامة فقد خارت أفكارك بسلمى يا سلامة.

جاء القدر مسرعًا إليها.. عربة كبيرة تلتهم جسد براءة وهي مبتسمة تائهة في خيالها.. أطفأت نور حياتها.

*الصحف المجلات التلفيزيون:

"ليلة أمس وفاة الشاعرة "براءة جمال" بعد نجاح كتابها الأول والأخير، في حادث عربة نقل كبيرة كان سائقها نائمًا.

بعد وفاة براءة.. مازال آدم يخفي ما بداخله.. إن كان أحبها حقًا.. أم أراد أن ينالها فقط.. ولكن قال وهو يظهر إنه لم يبالِ من شيء "لم أحبها يومًا كانت صديقة واليوم فقيدة أتمنى لها الرحمة"

تلك المسكينة كانت دائمًا تقنع نفسها أنه يتمرد عليها لكن يحبها.. كانت لا تستطيع أن تقنع نفسها بأنه لم يحبها يومًا.

أدهم صدم لخبر وفاتها شعر بتأنيب الضمير قائلًا:

"لم تهنأ بنجاحها فكانت تنتظره طويلًا.. ياليتها تسامحني" وتزوج وأنجب طفلة اسمها "براءة" .

حمزة أيضًا شعر بتأنيب الضمير حين تسبب في ألمها يومًا سواء كان متعمدًا ذلك أو غير متعمد.

رحلت براءة وتركت خلفها كتابها ذكرى خالدة لها كي يتذكرها الجميع، تركته لأشباه الرجال.. لعل ضمائرهم الميتة تعود يومًا ما إلى الحياة، تركته لكل حواء مسكينة لا تعلم شيئًا عن مكر الرجال وحيل أشباههم.

تركت آخر حروفها في رسالة مع حمزة قائلة له:

قم بنشرها فهذه الرسالة موجهة لكل حواء ولكل شبه رجل:

أشباه رجال

أنتم من برأت منكم الرجولة

ولعنتكم الأيام تبعثرون المشاعر

وتقتلون أحلام الفتيات

وتعدمون القلوب تحت أي مسمى هذا الإجرام

يا أشباه الرجال

جئت لكم من أقصى الجنوب

لأنهي مأساة كل فتاة

سأقضي عليكم يومًا ما

هذا وعدي لكم.

"أشباه الرجال يخشون حواء حين تقرأ.. اقرئي كثيرًا.. اقرئي كثيرًا يا حواء.. كوني دائمًا أنتِ الأقوى ولا تقوى عليكِ يومًا تلك الأشباه"

"أشباه الرجال لم ينتهِ بعد انتقامي فإن فارقت الحياة كونوا على عِلمٍ أني تركت بداخل كل حواء نقية، براءة أخرى تحاربكم حتى أن تتوبوا أو أن تموتوا"

رانيا كمال

****



Email: layanpub@gmail.coml-layanpub@yahoo.com

ت:01282288056

6شارع التحرير بالدقي، بجوار محطة مترو البحوث، الدور 19، شقة رقم2002